سيدة من التاريخ

بقلم : الدكتور ابراهيم الكيلاني

اذا كان القرن الاول للهجرة عصر فتن وثورات وفتوحات، فقد عرف الحجاز مسرح هذه الحوادث الدموية أو جزء منها ألوانا اخرى من الحياة الاجتماعية والادبية والفنية الزاهية ، فكأن الناس في عصور القلق والاضطراب يشعرون بقيمة الايام وتصرم الاعمار ، فيقبلون على المتع واللذات ، نبيلها وحقيرها ، في نهم المحروم وخفة المختلس. فكذلك كان الحال في الحجاز بعد أن عمل الامويون على ابعاده عن الحياة السياسية ، وغمر اهله في بحر من الخيرات والاموال والهبات ليلهوهم عن المطالبة بالملك المغتصب ، والاشتغال بالسياسة ، مما لاقى هوى في نفوس الحجازيين ، فعكفوا على الاستمتاع بهذه الخيرات ، ووهبوا نفوسهم واجسامهم للمجون واللهو والعبث ، وعقولهم واحاسيسهم للشعر والموسيقى وغيرهما من المتع الرفيعة والالهيات الشريفة ، وكنت كلما ارتفعت بالسلم الاجتماعي الى الطبقة العليا هبطت قيمة المال ، واشتد السرف حتى صارت الجوائز والمنح تعطى بالالوف ، وبنيت الدور وشيدت القصور ، واتسعت المتنزهات والجنائن والبساتين ، واخذ الحجاز في استكمال اسباب الرخاء والحضارة التي تؤهله لحياة جديدة وعهد جديد .

وكان من نتائج هذا الرخاء المادي تطور اجتماعي في العادات والاخلاق والنظم المعاشية ، ومما عجل هذا التطور كثرة الرقيق والسبي الذي كان يجلب من اقاصي البلاد المفتوحة ، ويندر ان تخلو دار منه ، وكان بين هذه السبايا ، وهذا الرقيق كثير من ابناء وبنات الملوك والامراء فاستطاع بعضهن لنجابة أصولهن ، وكريم منبتهن أن يبرزن في المجتمع الاسلامي ويرتفعن من مرتبة الرقيق والخدمة الى عالم الشهرة المرموقة أمثال حبابة وسلامة جاريتي الخليفة يزيد بن عبد الملك الذي قال عند توليه الخلافة : « ما تقر عيني بما أوتيت من الخلافة حتى اشتري سلامة جارية مصعب بن سهيل الزهري ، وحبابة جارية لاحق المكية ، فاشتريتا له ، فلما اجتمعتا عنده قال : انا الآن كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

فهذا الرقيق انما هو جسر عبرت عليه حضارات الامم العريقة المغلوبة الى البلاد الاسلامية مما دفع بالمسلمين الى الاستمتاع بالحياة والافتنان في اساليب العيش ، فتأنقوا في الملبس والمأكل والمشرب ، واعتنت النساء بثيابهن وهندامهن وزينتهن فعرفن بعد التقشف والبداوة، الاحجار الكريمة واللآلىء وضروب الحلي شأن العريقات في الحضارة والترف المادي حتى روي ان مصعب بن الزبير اهدى عائشة بنت طلحة ثماني حبات من اللؤلؤ قيمتها عشرون الف دينار . وسرت العدوى من النساء الى الرجال فكان الوليد بن يزيد يلبس العقود ويغيرها في اليوم مرارا كما تغير الثياب ، وكان يجمع اللؤلؤ من كل وجه ويغالي به .

ان النساء دوما مقياس حضارة امة ورفاهيتها وترفها، فقد صرن يلبسن القمص الاسكندرانية الرقيقة ، والثياب القوهية المعصفرة ، تكاد تشف عن اجسادهن ، واخذن يضعن على وجوههن الحجب الرقيقة حتى قال عمر بن ابي ربيعة مشيرا الى حجابها المصنوع من حرير القز :

أقول وشف سجف القز عنها
أشمس تلك أم قمر منير

وحتى قال معاذ بن جبل مخاطبا الناس : انكم ابتليتم بفتنة الضراء ، واني أخاف عليكم فتنة السراء وهي النساء اذا تحلين بالذهب ، ولبسن ربط الشام ، وعصائب اليمن فأتعبن الغني ، وكلفن الفقير ما لايطاق . وكذلك سرت عدوى اللباس والتأنق فيه الى الرجال فتنافسوا فيه حتى خطب زياد بن أبيه فقال : « والله لقد لبسنا الخز واليمنة واللين من الثياب حتى لقد مللنا ذلك ، وملته جلودنا » وكان مروان بن أبان بن عثمان يلبس سبعة قمص ، كأنها درج ، بعضها أقصر من بعض وفوقها رداء

عدني بألفي درهم . وكذلك قل في المأكل وقديما قيل : « ان العرب كانت لا تعرف كثرة الالوان في اطعمتهم ، انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمان معاوية فاتخذ الالوان » ، فكان معاوية بما اقتبسه من الاعاجم قد فتح للعرب باب التفنن في المأكل ، وشره خلفاء بني امية معروف حتى رووا أن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان كان ابخل قرشي ومع ذلك فقد ذكروا عنه أنه حج ومعه امراته سكينة بنت الحسين فلم يدع اوزة ولا دجاجة ولا بيضا ولا فاكهة الا حمله معه . »

هذا في الناحية المادية أما في الناحية الفنية والمتع الروحية فقد اوجد اختلاط العرب الغالبين بوارثي الحضارات القديمة العريقة من موالي وأرقاء فن الغناء حتى اشتهر الحجاز بذلك لكثرة ما ظهر فيه من مغنين ومغنيات بلغت شهرتهم الآفاق ، فأولع الناس أشرافا وسوقة ، بالغناء والطرب حتى غلب ذلك على ما عداهما من مظاهر الحياة العامة والخاصة . ألم يقل الحارث بن خالد المخزومي للمغني غريض : « لا لوم في حبك ، ولا غدر في لومك ، ولا لذة لمن لا يروح قلبه بك ، يا غريض ! انما الدنيا زينة فأزين الزينة ما فرح النفس ، ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء » . وكان عمر بن أبي ربيعة يبلغ به الطرب مبلغه حتى يسقط مغشيا عليه . وسمع جرير المغني ابن سريج المكي فقال مخاطبا اهل مكة ! ما ذا اعطيتم ! والله لو أن نازعا نزع اليكم ليقيم بين اظهركم فيسمع هذا صباح مساء ، لكان أعظم الناس حظا ونصيبا ، فكيف ومع هذا بيت الله الحرام ، ووجوهكم الحسان ، ورقة السنتكم وحسن شارتكم وكثرة فوائدكم .

وكان للشعر أثره في شيوع الغناء ، وبخاصة الشعر الغزلي ، كما كان الغناء بدوره عاملا في سيرورة وانتشار هذا النوع من الشعر ، والشعر والغناء صنوان لايفترقان ، وما ملازمة ابن سريج والغريض المغنيين الكبيرين في العصر الاموي لعمر بن ابي ربيعة الا مظهرا من مظاهر تعامل الشعراء والمغنين حتى قيل : « اذا أعجزك ان تطرب القرشي فغنه بشعر ابن ابي ربيعة ولحن ابن سريج فانك ترقصه رقصا ولن تطيب مجالس الغناء الا اذا قرنت بمجالس الشراب فكان الناس يطربون ويشربون فيسكرون ويحدثنا الجاحظ في نص مشهور فيقول : « وكان من ملوك الاسلام من يدمن على شربه يزيد بن معاوية وكان لا يمسي الا سكران ، ولا يصبح الا مخمورا . وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل أفي السماء هو او في أرض ويقول : « انما أقصد في هذا الى اشراق العقل ، وتقوية منة الحفظ ، وتصفية موضع الفكر » وعدد ابن عبد ربه بعض من شرب المسكر من خلفاء بني امية فقال : « .. ومنهم عبد الملك بن مروان ، وكان يسمى حمامة المسجد لاجتهاده في العبادة قبل الخلافة ، فلما افضت اليه الخلافة شرب الطلا ، وقال له سعيد بن المسيب : « بلغني يا أمير المؤمنين انك شربت بعدي الطلا فقال : أي والله ! وقتلت النفس . والنساء ايضا تشبهن بالرجال ، فقد كانت أم حكيم امراة هشام بن عبد الملك منهومة بالشراب ، مدمنة عليه لا تكاد تفارقه ، وكأسها الذي تشرب فيه مشهورة عند الناس . »

ويحدثنا الجاحظ عن اثر الغناء في الخلفاء وتشجيعهم له قال : « قلت لاسحاق بن ابراهيم : هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للندماء والمغنين ؟ قال : اما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد فكان بينهم وبين الندماء ستارة ، وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة اذا طرب للمغني والتذه حتى ينقلب ويمشي ويحرك كتفيه ويرقص ويتجرد حيث لا يراه الا خواص جواريه ، الا أنه كان اذا ارتفع من خلف الستارة صوت ، او نعير طرب ، او رقص ، او حركة بزفير تجاوز المقدار قال صاحب الستارة : حسبك يا جارية ، كفى ! انتهى أقصري ! يوهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجواري . » وكذلك سار الاشراف وكبار الدولة وعامة الشعب سيرة الخلفاء في الشراب ، والناس على دين ملوكهم .

واذا أولع الخلفاء ومن دونهم بالخمر أولعوا أيضا بالمغنيات ، وكثيرات منهن عرفن بالجمال والفتنة فملكن قلوب الخلفاء ، وتداخلن في أمور القصر وعظم شأنهن في تسيير الدولة ، واخبار يزيد مع المغنية حبابة مشهورة ترد في باب الجنونيات والوقائع النادرة حتى قيل ان يزيد لما ماتت حبابة أقام ثلاثة أيام لا يدفنها حتى أنتنت وهو يشمها ويرشفها ، فعاتبه ذوو قرابته حتى أذن لهم في غسلها ودفنها ، وأمر فأخرجت في نطع ، وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها ، وما أقام الا خمس عشرة ليلة حتى دفن الى جنبها ! »

* * *

تلك لمحة سريعة عن عالم كان يعج بالشعراء والمغنين والشباب اللاهي المستهتر في حواضر الحجاز والعراق والشام . ويحق لنا التساؤل الآن عن حالة المرأة العربية الشريفة ، لا لان ماوصل الينا من اخبار يدور حول هذه المرأة المثلة في نظائر السيدة عائشة ام المؤمنين ، وسكينة

بنت طلحة ، والثريا بنت علي وغيرهن ، بل لان الظواهر الجديدة انما تظهر في الطبقات العالية في المجتمع ثـم تنحدر في السلم الاجتماعي حتى تصل الى مستوى عامة الشعب ، فالعلم يأتي من فوق ، والترف يأتي من فـوق ، والبدع تأتي من فوق لان الطبقـة العاليـة هي صاحبة السلطان والجاه والمال ، والدنيا بيد من يملك هذه العناصر الثلاثـة .

ان أبرز ما كانت تتمتع به المراة في القرن الاول للهجرة الحريـة ، الحريـة في اوسع معانيها واشكالها الفردية منها والاجتماعية ، فالمراة سيدة نفسهـا ، ثم ان العصر أوجد لها اجواء صالحة لنمو شخصيتها وتعزيز سلطانها ، فاذا جاء الخاطب مثلا خطب المراة الى نفسها لا الى اهلها ، وقد ترفضه ولو كان من ذوي الشأن كما فعلت أم كلثوم أخت عائشة أم المؤمنين عندما خطبها عمر بن الخطـاب ، وكانت صغيرة فقالت لهـا أختها : اترغبين عن أمـير المؤمنين ؟ قالت : نعـم ! انه خشن العيش ، شـديد على النساء . وحسبنا ان نعلم بأن النسـاء كن يتزين ويسفرن ويبرزن للرجال في المواسم والطواف والاعيـاد والحج ، وهن حديثات العهد بالاسـلام ، فيتصدى لهن الشعراء ورواد الغزل ، حتى ان الجميلات كن يأنفن أن يسـترن جمالهن بقنـاع ، ولما ليمت عائشة على سفورها قالت : ان الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال احببت أن يراه النـاس ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لاسـتره ووالله ما في وصمـة يقدر ان يذكرني بها احد وفي ذلك قـال عمر بن أبي ربيعة :

فلمـا تواقفنـا وسلمت اقبلت
وجـوه زهاهـا الحسن أن تتقنعا

ولما كانت المراة حريصة على اظهار جمالها والزهو به ، مالت الى الشعراء ، وارادتهم على ان يشببوا بها ، ولـو تحرشت بهم ، والقت بنفسها في مواقع الريبة والتهمة ،

ومن مستلزمات هذه الحرية التي تمتعت بهـا المراة ادلالها على الرجل ، والسيطرة على حواسه ووجـدانـه ، ولم يبلغ الرجال من الضعف امام المراة وغوايتها في اشد عصور الانحطاط ما بلغوه في القرن الاول للهجرة ، ولـو رحت اسرد الامثال لاطلت : رووا ان عاتكة بنت يزيد بـن معاويـة غضبت مـرة على زوجها عبد الملك بن مـروان وهو خليفة ، وكـان بين غرفته وغرفتها باب فحجبتـه ، واغلقت ذلك الباب ، فشق غضبها على عبد الملك وشكـا امره الى رجل من خاصته حتى يحتال له في رضاها !!

ودخل مصعب بن الزبير على زوجه عائشة بنت طلحة وهي نائمـة متصبحة ومعه ثمان لؤلؤات قيمتها عشرون الف دينـار فأنبهها ، ونثر اللؤلؤ في حجرها فقالت لـه : نومتي كانت أحب الي من هذا اللؤلؤ ! . .

في هذا العصر العجيب المليء بالحياة ، النابض بالمسرات واللهو والعبث والاستخفاف بالعيش وبالقواعد والتقاليد، المتفتح لكل شيء جديد ظهرت سكينة بنت الحسين بـن علي بن أبي طالب التي مـلأت دنيا زمانها ، وشغلت الناس مع من شغلتهم من بنات جنسها .

ان هذه السيدة صورة صادقة للمراة في زمانهـا ، في نفسيتها ومزاجهـا وعبثها وحفاظها وخفـة روحهـا وثقافتها وخيلائهـا وحاجتها للهزات الفكرية والعاطفيـة ، وجراتها وحدتها ، يدعم كـل ذلـك جمال وفتنة أسـرت بهما قلوب الرجـال ، وأججت الغيرة في قلوب النساء .

تحدثت عن نفسها فقالت : ادخلت على مصعب وانـا أحسن من النـار الموقدة في الليلة القراء ، وكانت عائشة بنت طلحة تنافس بالحسن سكينة بنت الحسين . قالت لها يوما سكينة : انا اجمل منـك . قالت عائشة : بل انا ، فاختصمتا الى عمر بن ابي ربيعة فقال : لأقضين بينكما . أما أنت ياسكينة فأملح منها ، واما أنت يا عائشة فأجمـل منهـــا . فقالت سكينة : قضيت لي والله . وكـانت سكينة تسمي عائشة بنت طلحة ذات الاذنين وكـانت عظيمة الاذنين . وكـانت سكينة من احسن الناس شعرا وهي ذات بدعة في تصفيف الشعر لم ير أحسن منهـا وتسمى تلك الطريقة « السكينية » ، وقد راجت هـذه البدعة حتى ان عمر بن عبد العزيز كان اذا وجد رجـلا يصفف جمتـه على السكينية جلده وحلقه .

وسكينة ككل امراة تعتبر الجمال علة وجودها وشغلها الشاغل فتحرص على صيانته ولو لاقت في سبيل ذلـك الاهـوال والاوجاع الممضة . قيـل انها خرجت لهـا سلعة في أسفل عينيها ـ السلعة غدة تظهر ما بين الجلد واللحم اذا غمزت باليد تحركت ـ حتى كبرت ، ثم اخذت وجههـا وعظم مابها ، وكـان دارقيس الطبيب منقطعا اليهـا وفي خدمتها ، فقالت له : الا ترى مـا وقعت فيه ؟ فقال : اتصبرين على ما يمسك من الالم فاعالجك قـالت نعم ، فاضجعها وشـق جلد وجهها اجمع ، وسلخ اللحم من تحتـه حتى ظهرت العروق وكان منها تحت الحدقـة، فرفع الحدقة حتى جعلها ناحيـة ، ثم سل عروق السلعة من تحتها واخرجها ورد العين الى موضعها ، وسكينـة مضجعة لا تتحرك ولا تئن حتى فرغ ، وبرئت بعد ذلك وبقي اثر تلك الحزازات في مؤخر عينيها . فكان أحسـن شيء في وجهها .

نشأت سكينة في بيت النبوة والمجد والشرف ، وهي ان وفقت في حياتها الاجتماعية فلم يسعدها الحظ في حياتها الزوجية ، فقد تعاورها عدة رجال ، تزوجها مصعب بن الزبير فمات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان فمات عنها ، فتزوجها الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول عليها ، ثم تزوجها زيد حفيد عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها تشاؤماً من موت ازواجها ففعل ، ولا شك في أن هؤلاء الازواج كانوا دونها في المواهب والشخصية الا مصعبا زعيم حزب الزبيريين ، وبطل الحروب مع الامويين ، فقد كانت تحبه ولكنها كانت تخفي ما في قلبها ، وتكتم وجدها به على عادة النساء . دخل اليها في حربه مع عبد الملك وقد نزع عنه ثيابه ، ولبس غلالة ، وتوشح بثوب ، وأخذ سيفه فعلمت انه لا يريد ان يرجع فصاحت من خلفه : واحزناه عليك يا مصعب ! فالتفت اليها وقال : أو كل هذا لي في قلبك ؟ فقالت : اي والله ، وما كنت أخفي اكثر ! فقال : لو كنت اعلم أن هذا كله لي عندك ، لكانت لي ولك حال ، ثم خرج ولم يرجع . فقالت سكينة ترثيه :

فان تقتلوه تقتلوا الماجد الذي
يرى الموت الا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية
الى القوم حتى أوردوه حماما

ولما دخلت سكينة الكوفة بعد مقتل مصعب خطبها عبد الملك بن مروان فقالت : والله لا يتزوجني بعده قاتله ابدا . ولقد خطبها كثيرون فكانت ترد بعضهم برفق ، وترد الآخرين بشيء من العنف كما فعلت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف اذ قالت له : ابلغ من حمقك ان تبعث الى سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله (ص) تخطبها ، فأمسك عن ذلك ، قال ثم تنفست بنانة جارية سكينة وتنهدت حتى كادت أضلاعها تنحط ، فقالت لها سكينة : مالك ويلك . قالت : أحب أن أرى في الدار جلبة ، تعني العرس ، فدعت مولى لها تثق به فقالت له : اذهب الى ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فقل له : ان الذي تدفعك عنه قد بدا لنا فيه ، ائت اخوال رسول الله (ص) قال : فجمع عدة من بني زهرة واعيان قريش من بني جمح وغيرهم نحوا من سبعين او ثمانين رجلا ثم ارسل الى علي بن الحسين وحسن بن حسن وغيرهم من بني هاشم واجتمعوا وقالوا : لا يخرجن منكم انسان الا ومعه عصا فجاؤوا وما بقي الا الكلام فقالت : اضربوا بالعصي فتضاربوا هم وبني زهرة حتى تشاجوا فشج بينهم يومئذ اكثر من مائة انسان . ثم قالت بنو هاشم أين سكينة قالوا : في هذا البيت ، فدخلوا اليها فقالوا : ابلغ هذا من صنعك ثم جاؤوا بكساء فبسطوه واخذوا بزواياه الاربع ثم حملوها وساروا ، فالتفتت الى بنانة فقالت : أي بنانة ، أرايت في الدار جلبة فقالت : اي والله الا انها شديدة ! »

ولعل أبرز ما عرف عنها الى جانب سطوتها على أزواجها واستعلائها عليهم خفة روحها ، وحبها للنكتة والدعابة والمزاح ولو خرجت بذلك عن حدود الوقار المفروض في امراة شريفة تنتسب الى بيت النبوة ، فقد قيل لها يوما : جدتك فاطمة الزهراء يا سكينة وانت تمزحين كثيرا ، واختك فاطمة لا تمزح ! فقالت : لانكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الاسلام ، تعني آمنة بنت وهب ام الرسول ، وكانت سكينة تسمى آمنة ، وسكينة لقب غلب عليها .

أما انها مزاحة طريفة فلا ادل على هذا من هذه الاخبار المروية عنها : لسعتها يوما دبرة ــ والدبرة النحلة ــ فقالت لها أمها : ما لك ياسيدتي ؟ فضحكت وقالت : لسعتني دبيرة ، مثل الابيرة ، اوجعتني قطيرة ! (الشي الخسيس!)

وأرسلت مرة الى صاحب الشرطة : أن دخل علينا شامي فابعث الينا بالشرط ، فركب وأتى ، وأمرت بفتح الباب ، وخرجت جارية من جواريها وبيدها برغوث ، وقالت : هذا الشامي الذي شكوناه ! .

قالوا : ان زوجها زيد بن عمر استأذنها في الحج ، فأرسلت أشعب معه رقيبا وعينا لها عليه ، ومانعا له من العدول الى المواضع التي لا تريد سكينة ان يعدل اليها. وخان أشعب سيدته في هذه المهمة لقاء اربعمائة دينار رشاه بها زيد ، وعاد زيد واشعب فاستحلفتهما ، فأقسم اشعب أحرج الايمان انه لم ينكر على سيده شيئا ، واقر زيد بما فعل . قال أشعب : فأمرتني بأحضار الاربعمائة دينار . فلما احضرتها امرت بابتياع خشب بثلاثمائة دينار ، وليس عندي ولا عند احد من أهل المدينة علم بما تأمر به ، ثم امرت بأن يتخذ بيت من عود ، وجعلت النفقة عليه من أجر النجارين من المائة الباقية ، ثم امرت بابتياع بيض وتبن وسرجين ــ زبل ــ بما بقي من المائة دينار بعد اجرة النجارين ، ثم ادخلتني والبيض والتبن والسرجين في ذلك البيت ، وحلفت بحق جدها لا أخرج من ذلك البيت حتى احضن ذلك البيض كله الى أن يفقس ، ففعلت ذلك ، ولم أزل أحضنه حتى فقس كله ، فخرج الفراريج وربيت في دار سكينة وكانت تنسبهن وتقول : بنات

اشعب ؛ وبقي النسل في أيدي الناس الى الآن ، وهم أخوتي واهلي !

ان مثلت سكينة عصرها في مرحه وظرفه فهي تمثله ايضا في جده وفنه وادبه ، واذا اتصف هذا العصر برواج الشعر والغناء ، فان لسكينة بحكم نسبها ومكانتها الاجتماعية وقوة شخصيتها وحدة ذكائها نصيبا في الحياة الادبية والفنية وحماية الشعراء والمغنين وتشجيعهم والاخذ بناصرهم . حدث عبيد بن حنين الحيري قال : كان المغنون في عصر جدي اربعة نفر : ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعراق : والذين بالحجاز : ابن سريج والغريض ومعبد . فكان يبلغهم ان جدي حنينا قد غنى في هذا الشعر :

هلا بكيت على الشباب الذاهب
وكففت عن ذم المشيب الآيب
هذا ورب مسوفين سقيتهم
من خمر بابل لذة للشارب
بكروا علي بسحرة فصحبتهم
من ذات كوب مثل قعب الحالب
بزجاجة ملء اليدين كأنها
قنديل فصح في كنيسة راهب

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدي وقالوا : ما في الدنيا اهل صناعة شر منا ، لنا أخ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزوره ولا نستزيره . فكتبوا اليه ووجهوا اليه نفقة يقولون : نحن ثلاثة وأنت وحدك فأنت أولى بزيارتنا فشخص اليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقونه ، فلم ير يوم كان اكثر حشرا ولا جمعا من يومئذ ، ودخلوا ، فلما صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد : صيروا الي ، فقال له ابن سريج : ان كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لمولاتي سكينة عطفنا عليك، فقال : ما لي من ذلك شيء ، وعدلوا الى منزل سكينة فلما دخلوا اليها اذنت للناس اذنا عاما ، فغصت الدار بهم، وصعدوا فوق السطح وامرت لهم بالاطعمة فأكلوا منها ، ثم انهم سألوا جدي حنينا ان يغنيهم صوته الذي أوله :

هلا بكيت على الشباب الذاهب

فغناهم اياه بعد ان قال لهم : ابدؤا انتم ، فقالوا : ما كنا لنتقدمك ولا نغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت ، فغناهم اياه ، وكان من احسن الناس صوتا . فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه ، فسقط الرواق على من تحته فسلموا جميعا واخرجوا اصحاء ومات حنين تحت الهدم . فقالت سكينة : لقد كدر حنين علينا سرورنا ، انتظرناه مدة طويلة كأنا والله كنا نسوقه الى منيته .

لقد أجمع مؤرخوا الادب القدامى وفي طليعتهم ابو الفرج صاحب الاغاني على ان سكينة كانت عفيفة سلمة ، وتجالس الاجلة من قريش ويجتمع اليها الشعراء . حتى أثرت عنها أحكام ادبية ونقدية تدل على حدة ذكائها ورهافة حسها وتذوقها للشعر ، وعلى مقدار الوعي الادبي الذي وصلت اليه المراة في عصرها . نعم ان احكامها الادبية كما سترى اقرب الى المعرفة الحدسية المزعومة بالحس الدقيق والذوق السليم الذي يتناسب وطبعها النسوي البعيد عن التحليل الجاف والاستنتاج البطيء ، وهي بعد تعتبر قوام الشعر وخاصة الغزلي منه في صدق العاطفة وايمان الشاعر بما يقول .

قالت مرة لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول :

ألا ليتني اعمى ، أصم ، تقودني
بثينة لا يخفى علي كلامها

قال نعم ، قالت : رحم الله صاحبك ان كان صادقا في شعره .

وكانت سكينة مثلا تعيب على جرير قوله :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام

قالت : قاتله الله ما أقساه ! هلا قال : ادخلي بسلام !

ووقفت على عروة بن أذينة — وكان من اعيان العلماء وكبار الصالحين — فقالت له : أنت القائل :

اذا وجدت أوار الحب في كبدي
ذهبت نحو سقاء الماء ابترد
هبني بردت برود الماء ظاهره
فمن لنار على الاحشاء تتقد !

فقال لها : نعم ، فقالت : وانت القائل :

قالت وابثثتها سري وبحت به
قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

الست تبصر من حولي فقلت لها

غطي هواك ، وما القي على بصري

قال نعم : فالتفتت الى جوار كن حولها وقالت : هن حرائر ان كان خرج هذا من قلب سليم قط !

وقيل : اجتمع في ضيافة السيدة سكينة جرير والفرزدق وجميل وكثير ونصيب . فقالت للفرزدق انت القائل :

هما دلتاني من ثمانين قامة

كما انحط باز اقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي بالارض قالتا

احي يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الامراس لا يشعروا بنا

واقبلت في اعجاز ليل ابادره

ابادر بوابين قد وكلا بنا

واحمر من ساج تبص مسامره

قال : نعم ، قالت : فما دعاك الى افشاء سرك وسرها ؟ هلا سترت عليك وعليها !

ثم قالت لجرير : انت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا

وقت الزيارة فارجعي بسلام

تجري السواك على اغر كأنه

برد تحدر من متون غمام

قال نعم ! قالت : اولا اخذت بيدها ، وقلت لها ما يقال لمثلها . انت عفيف وفيك ضعف !

ثم قالت لكثير : انت القائل :

واعجبني يا عز منك خلائق

كرام اذا عد الخلائق أربع

دنوك حتى يدفع الجاهل الصبا

ودفعك أسباب المنى حين يطمع

فوالله ما يدري كريم مماطل

اينساك اذ باعدت أو يتصدع

قال نعم ، قالت : ملحت وشكلت !

ثم قالت لنصيب : انت القائل :

ولولا ان يقال صبا نصيب

لقلت بفسي النشء الصغار

بنفسي كل مهضوم حشاها

اذا ظلمت فليس لها انتصار

قال نعم ، فقالت : ربيتنا صغارا ومدحتنا كبارا !

ثم قالت لجميل : والله ما زلت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة

بوادي القرى ، اني اذا لسعيد

يقولون : جاهد يا جميل بغزوة

وأي جهاد غيرهن اريد

لكل حديث بينهن بشاشة

وكل قتيل بينهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة ، وقتلانا شهداء !

كانت سكينة من اللواتي رماهن القدر في طريق عمر بن أبي ربيعة الشاعر الجميل الوسيم الطويل القامة ، الناحل ، الاسمر ، الشاحب اللون ، على عادة الشعراء ، المعجب بنفسه ، المتغزل بحسنه القائل :

قلن تعرفن الفتى ؟ قلن نعم

قد عرفناه ، وهل يخفى القمر !

الا ان هذا القمر لم يخف على سكينة واترابها ، بل تحرشن به وودن ان يتغزل بهن ويشهرهن اشباعا لغرورهن وارضاء لابائهن :

قيل : اجتمع نسوة من اهل المدينة من اهل الشرف فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه ، فتشوقن اليه وتمنينه . فقالت سكينة : أنا لكن به ، فأرسلت اليه رسولا وواعدته الصورين ، وسمت له الليلة والوقت وواعدت صواحباتها ، فوافاهن عمر على راحلته فحدثهن حتى اضاء الفجر وحان انصرافهن . فقال لهن : والله اني لمحتاج الى زيارة قبر

الرسول (ص) والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئا ثم انصرف الى مكة وقال :

قالت سكينة والدموع ذوارف
تجري على الخدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم أجزه
فيما اطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى ايامنا
اذ لا نلام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فبت كأنما
رمي الحشا بنوافذ النشاب
اسكين ما ماء الفرات وطيبه
مني على ظمأ وفقد شراب
بألذ منك ، وان نأيت وقلما
ترعى النساء أمانة الغياب
ان تبذلي لي نائلا اشفى به
سقم الفؤاد فقد اطلت عذابي
وعصيت فيك اقاربي فتقطعت
بيني وبينهم عرى الاسباب
وتركتني لا بالوصال ممسكا
منهم ولا أسعفتني بثواب
فقعدت كالمهريق فضلة مائه
في حر هاجرة للمع سراب

اننا لا نعلم مقدار حب سكينة لعمر وهي التي صادفت رجالا كثيرين وزودتها الحياة بالتجارب ، وهل كان اتصالها به من نوع حب الظهور واشباع الغيرة او الجري على عادة العصر . اما هو فلو كان من الرجال ذوي المراة الواحدة لصدقناه فيما يدعي ، ولكنني اعتقد ان سكينة من اللواتي تغزل بهن عمر ، واللواتي تصور فيهن «المرأة» في لحظة من لحظات الحياة . فكأنها تمثال بديع بين عدة تماثيل في متحف عمر بن ابي ربيعة النسائي .

ذبول

نبعة الظلم واللمى ،
ومقاصير للدمى ،
وحميا لذاذة ! ...
مبها الليل وارتمى ؟ ! ...

*

شفة العندم التي ،
سلسلت كأسها الرؤى ،
في ظلال الأهلة ،
وعلى سرة السما ! ...

*

واطلت بنهدها ،
تغسل الأفق بالشذا ،
فجرت ريقة السهى ،
ورمى الشرق سلما ! ...

*

وعلى جيدها نزت ،
دغدغات المناكب ،
قبلات تزاحمت ،
في ربى الفل حوما ! ...

*

واذا ساقها روت ،
حوض أردافها حدا ،
دميت أعين الكوى ،
وبكى الليل أنجما ؟! ...

*

وتغيض المراشف ،
في حفافي فتونها ،
فاذا الفجر عاصف ،
يحصد الثلج موسما ! ...

*

واذا حمرة خبت
ولحاظ تخاوصت ،
وجفا النحل أريه ،
لا تقيميه مأتما ! ...

*

اخذ الدهر ما حبا
فشذى الزهر للربى
وجنى الخد للصبا
ورؤى العمر « للذبول » ! ...

دمشق ـ فؤاد العادل

فتاة .. من هناك !..

بقلم : الدكتور جودة الركابي

عندما استقبلتها في المحطة ، كانت قادمــة من بــلدة صغيرة في قلب فرانسا تدعى (مونلوسون) الى مدينـــة (ڤيشي) . وكان في صحبتها أبوها ، وقد رأيته للمــرة الاولى ، وهو رجل قد قارب الخمسين ، ليس بغيضا الى النفس عندما تراه ، ولا ينبيء مظهره عن خبث او مدنية . ولما حدثني عرفت انه فلاح ، وانه طيب القلب ، وانـــه مسكين ، وانه انسان أول !

من هذه الفتاة ؟ ولم جئت الى المحطة لاستقبالها ؟

هذه الفتاة ، الغضة ، الجميلة ، لها من العمر تسعــة عشر عاما كما تقول ، وكما يؤكــد خليلها ، صديقي الذي كنا نراه غالبا حتى كأننا نعيش معه . عرفها صديقي منــذ مــدة تزيد على ثلاثة اشهر . وكنا نجتمع معهما في داره الصغيرة ، نضحك ونمرح ونلهو . وكثيرا ما زاد عــــدد المجتمعين على عشرة ، بين رجال ونساء ، اكثر الرجــال شرقيون عرب ، والنسوة كلهن اجنبيات عن عرقنـــا . وخليلة صديقي هذه ، كانت تذهب بين حين وآخر الى مدينتها (مونلوسون) ، فتجتمع الى ابيها وامها وســائر اهلها والى من لا اعرفه من أصدقائها .

لم يخف علي صديقــي ، ولا على أصدقــائي قصتها . قال لي مــرة :

« هذه بنت طيبة ، مسكينة ، صغيرة ، تبناها ابوهــا وامهــا ، وهي ليست منهما ، وقد تزوجت ، ثم هجرت زوجها ، أو زوجها هجرها ، لا ادري ، وقد ذهب هــذا الزوج للعمل في المانيــا منذ مدة وجيزة ، وهي لا تحبه ، وليست تهمني قصة هذا الزوج ، بل انني اراها فتـــاة طيبــة ، أتدري كم عمرها ؟ تسعة عشر عاما ... انهــا طفلــة ، انظر ، آه .. كم هي لطيفة ، كم تنشر علي مــن عطفها ولطفها . البارحة ، حنت علي حنو الام ، لقد نظفت غرفتي ، واصلحت ثيابي ، ورقعت ما تمزق من جواربي .. انت تعلم انني وحيد ، وانت ايضا وحيد مثلي ، ما مــن احد يحنو علينا ، كلانا طالبان جاءا للدراسة في فرانسا ، هاهي ذي سنة خامسة تمر علينا ونحن في ديار الغربــة ، كم أتمنى ان تنتهي هذه الحرب لأرى أهلي وامي واقبــل اخـــواتي ... »

وينهي حديثه عنها على هذا الشكل ...

ثم تمضي أيام ، ونجتمع معا نتحدث ونلهو ، ونــذهب تارة الى السينما وطــورا الى المقهــى ، وحينـــا آخر الى الحدائق والنهر ، وهي معنا تضحك لنـــا ، وللجميـــع ، عرفتهم ام لم تعرفهم ، ويعتري حديثها صراحة كبيرة ، صراحة مخجلة احيـــانا ، فنضحك ، ويشمل حديثنـــا وحركاتنـــا مجون محبب لنفسها ولنفوسنا الشابة المرحة .

واراها احيانـــا في شـــوارع « العاصمة الموقتـــة » (ڤيشي) بزي لا ترتديـــه الفتيات المؤدبات ، تدخل مقهى ، ثم تدخل آخر ، وتناديني واسير معها ، واضحك لهـــا وتضحك لي ، ثم تضحك لهذا ويضحك لها ، ثم تقتــرب من ذاك وتحدثه ، ثم تعود الي وعيناها عند كل رجـــل يمر ، او شاب يقف ، او امراة غريبة الزي والجمال !

واذا ما خلونا الى صديقنا ـ صــاحب هذه الفتاة ـ ناقشته في سيرة خليلته : كنت أنا اشد صراحة مــن اصدقائي في الحكم عليها ، وكان هو مترددا في الحكم عليها مأخوذا في تيــار الحب الذي لم يشأ الاعتراف به . حينا يقول انها عاهر ، وطورا ينعتها بالطيش ثم لا يلبث ان يتحدث عنها بالحديث الآتي :

« مسكينة ، انها طفلة ... وماذا يهمني من أمرها ، ولكن لا ... أقول لكم انها طاهرة ، لقد حنت علي البارحة حنوا غريبا ، يا لها من ليلة ، وعند الصباح هيأت لي الطعام ، وبقيت في الدار طوال النهار ورتبت الحاجات ، وطبخت أكلا لذيذا ... أتدرون مــاذا أرســل اليها أهلها مــن

(مونلسون) ؟ ارسلوا لنا زبدا ، وبيضا ، وقطعا كبيرة من اللحم المجفف وغير ذلك ... مسكينة امها ، ومسكين ابوها ، انهما يحبانها حبا جما وهي مع ذلك ليست بنتهما كما تعلمون ، لقد تبنياها وليس لهما من اولاد غيرها .

((آه .. الزبد .. ما أحلى الزبد في مثل هذه الايام السود التي لا نجد فيها قطعة من الزبدة الا بشق الانفس وبأغلى الاثمان ، او لقاء ((القسائم)) المعينة في اوراق التغذية التي توزعها الحكومة . وهل تكفينا هذه القسائم ؟ وكيف يستطيع الانسان ان يعيش بمائتين وخمسين غراما من الزبد شهريا وهو كل ما تسمح به الحكومة من مادة دهنية للفرد ؟ اوف ... قاتل الله هذه الحرب ، متى ستنتهي ؟))

وينتهي حديثه عنها على هذا الشكل ...

على ان اطوار الحب بينهما لم تكن هادئة فكثيرا ما تشاجرا ثم تصالحا ، ثم تشاجرا ثم تضاربا ثم تصالحا وقد حاول بعضنا التفريق بينهما الا ان هناك فئة من الاصدقاء كانت تطرب للسهرات اللذيذة التي كانت تقضيها في دارها الصغيرة تضحك وتسف في الاحاديث والحركات والمجون ، ولهذا كانت هذه الفئة تترك الامور تسير في مجراها الطبيعي ، فلا تحاول ابعاد الخليل عن خليلته او الخليلة عن الخليل ، بل كانت تعمل لجمع الشمل كلما دب الخلاف بينهما .

على ان الخليل كان يكفيه أن يرده من اهلها عدة «ارطال» من الزبد وعدد من «اثني عشريات» البيض ، ليكون هذا فاتحة وئام جديد ، فيأكلان من هذا الخير ما طاب لهما الاكل ، ويبيعان الباقي في السوق الاسود فيدر عليهما الربح والمال .

على ان سيرة الخليلة الفتية لا ترضي ، مع هذا ، الانسان الشريف ، وصديقنا مع هذا لم يكن ذاك الانسان ، وقل عنه انه رجل يغتاظ ويحنق ويثور لكرامته ولكنه لا يلبث ان يرضى عندما يعلم ان امها ستأتي الى ڤيشي ((العاصمة الموقتة)) ومعها الزبد والبيض واللحم وعندما يعلم ايضا انها ستأتي الى ڤيشي لترى بنتها ولترى ايضا ((خليل بنتها)) !

وهنا لا تحاولوا ، يا قرائي الشرقيين ، ان تفهموا اكثر من ذلك ، ولا تحاولوا ان تفهموا كيف تقبل الام ان ترى بنتها ، ولو لم تكن منها ، تعيش مع خليلها عيشة الزوج مع زوجه ، فهذه صفة من صفات الغرب لا يستطيع الشرقي ان يتصورها ! ــ وهكذا تأتي الام الى دار بنتها وهي دار الخليل في ڤيشي ، ويتصالح الخليل والخليلة ، ويظهران امام الام من ضروب الحب والمودة الشيء الكثير ، ثم ترحل الام الى بلدتها الصغيرة بعد ان تركت لبنتها ما جلبت من الخير ، ويعود الشجار ، وتعود اطوار الحب واطوار الخيانة واطوار العهر !

هذا الاب وهذه الام من فلاحي مدينة (مونلوسون) التي يملكان فيها ارضا صغيرة يزرعانها فاصولياء ، ومن هذه الارض كانا يحملان الى بنتهما زبدا وبيضا ولحما وفاصولياء بيضاء كلما قدما الى ڤيشي ! تحدثت الى الام وقد كانت في زيارة بنتها ، فرأيتها امرأة ذكية وقورة تنظر الى بنتها بعين الرأفة ، كما تنظر ام الى بنت لها في كنف زوجها ، ورأيت البنت تخشى الام وتبدي نحوها نوعا من الاحترام المحبب ، ولكن هذا الاحترام لم يكن ليمنعها من ان تجلس في حضن خليلها على مرأى من امها وتقبله بنهم وشغف وحنان ، واحيانا برأفة زوجية !

اما الاب فقد رأيته اليوم للمرة الاولى حينما ذهبت الى المحطة لاستقبال هذه الفتاة ــ خليلة صديقي كما قلت في بدء القصة ــ . كانت هذه الخليلة قد ذهبت الى دار اهلها في (مونلوسون) منذ عشرة ايام بعد شجار جرى لها مع خليلها ، ومع هذا فقد كتبت له عدة مرات خلال اقامتها القصيرة هناك ، وتحدثت اليه ((بالتلفون)) ايضا ، وفي آخر كتاب ارسلته اليه قالت له فيه انها ستعود مع ابيها هذا اليوم مساء الى ڤيشي في الساعة التاسعة عشرة مثقلة بالزبد والبيض ولحم الخنزير ، ولما كان صديقي لا يستطيع لقياها في الساعة المذكورة في المحطة ، لشغل هام لا يستطيع تركه ، رجاني ان اذهب الى لقياها وان أقودها واباها الى الدار ، وقد اعطاني مفتاح الدار ، وطلب الي ان استأجر ((عربة)) تقلنا الى داره ، وان ننتظره هناك حتى مجيئه ، فسوف لايتأخر اكثر من نصف ساعة ... وذهبت الى المحطة ، وعند الساعة التاسعة عشرة ظهر القطار ، ونزلت منه مع من نزل ، وكانت تحمل حقيبة كبيرة ثقيلة ، وكان ابوها امامها يحمل حقيبتين كبيرتين ثقيلتين ، فصحت بها فصاحت بي وضحكت بشفتيها الغليظتين . وبالاغراء الذي لا يفارقها قدمتني الى ابيها وقالت :

ــ أقدم لك صديق ((سهيل))

وسهيل هذا هواسم صديقي ، خليل الفتاة . فصافحني الاب ببشاشة ، ورأيت على ملامحه طيب الفلاح وسذاجته وقادتنا العربة الى الدار . وقلت اثناء الطريق لـ «داني»

ـ وهو اسم فتاتنا ـ أن سهيلاً سيحضر بعد نصف ساعة الى الدار ، وقد حال شغله دون حضوره الى المحطة ، وسألتني بكلمات سريعة عن الاصدقاء فأجبتها ، بكلمات اسرع ، انهم بخير . واخذ الاب يكلمني عن حرارة الطقس، وعن السياسة ، وقال ان عددا كبيرا من الجنود الالمان قد جاءوا اخيرا الى مدينته ، ثم اخبرني انه هناك في حقله يأكل اكلا جيدا ، وهمس في اذني وهمست معه بنته وهي تشير الى الحقائب قائلة : كم من الخير فيها !

وضحكنا ...

ودخلنا الدار ، وفتح الاب فورا الحقيبة التي تضم كتل الزبد ، واخرجها ووضعها في الماء البارد خوفا من فسادها ، واخذنا نتأمل هذا الخير ، ورؤية الزبد زمن الحرب خير من رؤية الذهب ، وكان الاب فخورا بما أتى به ، وقال لي : يجب على الانسان ان يسير عدة كيلو مترات في الحقول وفي المزارع ليستطيع الحصول على هذا الخير .

فأجبت : طبعا .. طبعا ...

وكان سهيل يعرف الاب قبل هذه اللقيا ، اذ قد رحل مع « داني » الى (مونلوسون) وتعرف الى ابيها .

وجاء سهيل بعد ذلك ، وصافح الاب كما يصافح الصديق صديقه ، او كما يصافح الصهر عمه ـ وهو الاصح ـ ثم صافح بعد ذلك خليلته ولم يقبلها ، لا حياء من ابيها ، اذ لا معنى للحياء هنا ، بل لانه يود ان يظهر لها انه لا يزال في شجار معها . الم يفترقا ، قبل سفرها وهما متخاصمان ؟ على ان هذا الوضع لم يجلب انتباه الحاضرين ، ولم يؤثر في « داني » . وسهيل نفسه لم يحفل بعد ذلك بابداء اية علامة من علامات الجفاف ، بعد أن سره مرأى الزبد ، واخذ يسأل الاب عن لحم الخنزير المعروف بالجامبون فقال له انه في الحقيبة الثانية ... واهتم سهيل بهذا الخير ، واخذ الاب في اتمام اخراجه من الحقائب ، وقد اخرج ايضا كيسا من حب الفاصولياء البيضاء ، وكان الاب يتحدث اثناء ذلك بلهجته القروية عن المصاعب والاخطار التي يلاقيها المرء في جلب مثل هذه الخيرات في مثل هذه الايام ، بينما كانت « داني » جالسة في حضن سهيل وهي تبدي نوعا من العطف والاغراء .

تركت الثلاثة يهتمون بأمر اعداد عشائهم ، وقد طلب الي سهيل ان ابقى لتناول طعام العشاء معهم ، فاعتذرت واحتلت قائلا اريد مقابلة صديق لي ، ووعدتهم بالعودة اليهم بعد العشاء ، وخرجت فتناولت عشائي ثم عدت اليهم وجلست مع الاب ، ودخل سهيل وداني الى الغرفة وحدهما يتهامسان ويتحادثان طويلا ، والاب غير آبه بهما ، وتابع الاب محادثتي وقدم الي قسما من فطيرة صنعت بالطحين الابيض والبطاطا والحليب ، وكان قد حملها معه من المزرعة وقال لي :

كل .. كل .. انها لذيذة .. كل يوم نصنع في بيتنا هناك فطيرة كبيرة مثل هذه .. انا لا استطيع ان اكتفي مثلكم بالطعام الذي يقدم لكم في المطاعم ، وأنا الذي اشتغل طوال النهار في حقلي ، لقد زرعت هذا العام عشرة كيلو غرامات من الفاصولياء ، وانني اسقيها وانكشها كل اسبوع ...

ثم تطور الحديث واختلف نوعه ، ولكنه كان ساذجا بسيطا : حديث فلاح طيب القلب ، يكفيك ان تسمعه وان ترى الرجل الذي يفوه به ، ببزته الرسمية القديمة التي تدل على انه لا يرتديها الا مرة في الشهر عندما ينزل الى المدينة ، اقول يكفيك ان تسمع هذا الحديث وترى هذا الرجل لتحكم على طهره وليعتريك شعور غريب مبهم فيه الرحمة والالم والاشفاق .

وصاح الاب ببنته : ما ذا سنصنع ، فخرجت من الغرفة مع سهيل وقالت سنبحث لك عن غرفة لتنام بها ثم اردفت قائلة :

ـ أتريد أن تنام الليلة بفيشي ؟

ـ لا ادري ، ولماذا انام ، وماذا اصنع اذا بقيت هنا هذه الليلة ؟

وهنا ترددت داني ثم اظهرت صعوبة في ايجاد غرفة لينام بها ابوها ، واظهر سهيل مثل هذه الصعوبة ، على ان ايجاد الغرفة كان حقا صعبا في هذه «العاصمة الموقتة» التي كانت مكتظة باللاجئين الرسميين . عندئذ قال الاب :

ـ أوف ... سأعود الى (مونلوسون) .. وهل من قطار ؟

فأجابت داني بسرعة وكأنها تريد ان تتخلص من ابيها بعد ان قام بمهمته :

ـ نعم في الساعة الثانية والعشرين .
ـ وكم الساعة الآن ؟
ـ الحادية والعشرون و و .. وخمس عشرة دقيقة .
ـ اذن أستطيع السفر الآن .

وهنا اخذت داني تظهر بعض التردد مجاملة لابيها

واخذ سهيل يظهر مثل هذا التردد في سبيل المجاملة واللطف ، ولكن الاب الح بوجوب السفر ، اذ لا شيء يدعوه للبقاء هذه الليلة هنا ، وعليه ان يكون هناك صباحا لنكش حقل الفاصولياء ، وهو لا تهمه مشقة السفر ! وقمنا وتوجهنا الى المحطة ، وقال سهيل اثناء الطريق الى الاب بعد ان نظر طويلا الى داني :

ــ حقا ان عيني داني جميلتان ، انظر انهما اكثر جمالا وتألقا هذا المساء !

فضحك الاب ، وسره هذا المديح ، كما سر داني نفسها.

ثم اخذ الاب يتحدث عن السياسة وعن الحرب ويتكهن ببساطة عما اذا كانت ستدوم طويلا ، ويبدي في هذا الصدد مختلف الآراء الساذجة . ثم انتقل حديثه من السياسة والحرب الى مقاصف ڤيشي وجمالها والى معرفته لها ايام مجدها ومواسمها وقال : اما الآن فأرى ڤيشي كئيبة خاوية الشوارع .

فقلت له : انها كذلك لانها اصبحت « مدينة الوزارات! »

وكلمة « وزارات » تقابلها بالفرنسية كلمة «مينيستەر»

فظن أنني أقول « ميستەر » ، ومعناها بالعربية « أسرار »

فقال عندئذ :

ــ حقا ان ڤيشي أصبحت الآن مدينة « الاسرار » !!..

وكانت داني تستمع الى حديثنا وفهمت ما تضمه كلمة اسرار من معنى لم يفكر فيه مطلقا والدها ، فنظرت الى نظرة خبيثة ، وضحكنا جميعا ضحكا خفيا انفجر بقهقهة عريضة لم يفهم لها معنى فلاحنا الطيب القلب !

... ودخلنا المحطة ، وركب فلاحنا الاب القطار وودعناه ، أما ابنته فقد ودعته وداعا حارا ، ولما سار القطار أخذت تبكي بكاء صادقا مخلصا اثر في نفسي تأثيرا عميقا ، وآلمني الما شديدا ، لا لأن بكاء المرأة يؤثر بي ، بل لانه ايضا بكاء صادق ، فقد كانت هذه البائسة رغم كل شيء تحب اباها ، نعم تحب أباها ! وعندما خرجنا من المحطة كانت الدموع تنهمر من عيني فتاتنا بغزارة حملتها على ان تطلب مني منديلا لتمسح به هذه الدموع ، وقد التفت اليها سهيل وقال لها :

ــ كفاك بكاء ، سوف تؤذين عينيك الجميلتين ، لقد قلت لك انني أحب عينيك ، ولم يمض بعد زمن على هذا المديح الذي وجهته اليك امام ابيك اثناء طريقنا ..

عندئذ التفتت داني الينا ، وما زالت الدموع تتساقط من عينيها المحمرتين ، وقالت لنا بصوت تخنقه العبرات : اسمعا هذه القصة :

« كان امير يحب جمال العيون حبا جما ، أرادت أمه زواجه فقال لها : لا اتزوج الا بفتاة لها حظ كبير من جمال العيون . واخذت الام تعرض امام ابنها اجمل الاميرات واحلاهن عيونا ، وهو يرى ان جمال عيونهن لا يرضيه ويطلب اجمل منهن ... وتصرمت ايام دون أن يحظى « بجميلة العينين » ودون ان تحقق الام مبتغاها بزواجه ، وحدث ان انتاب الام مرض ماتت على أثره ، وعند الاحتفال بدفنها كان بين المجتمعين أجمل الاميرات واحلاهن عيونا ، وكن لا يبكين خوفا على عيونهن ، ولأنهن كن يعلمن أن الامير سوف يمر بهن ولا بد من ان يراهن ويرى عيونهن ، وحقا لقد مر الامير بالحاضرين حين الاحتفال بالدفن ، ورأى أثناء مروره وجوم الاميرات وصمتهن ، ولكن لم يكد يتخطى الصالة حتى سمع صوت بكاء شديد ، فالتفت فوجد في الزاوية بالقرب من « الدرج » فتاة صغيرة بائسة رثة الثياب تبكي بكاء حارا على فقدان والدة الامير . فاقترب منها فرأى ان عينيها قد تورمتا من البكاء وعلم انها تبكي حزنا على أمه ، فالتفت الى الحاضرين وقال : هذه هي التي سأتزوج بها ، لانها لم تستطع كظم شعورها ! »

لا أدري ماذا كان جواب سهيل بعد هذه القصة ، على انه لم يكن شديد الانتباه اليها ولم يفه بكلمة عند الانتهاء ، وانا ايضا لم أجب ولست أدري بماذا أجيب ولكنني كنت شديد التأثر ....

واتممنا سهرتنا في أحد المقاهي ، وقبل ان نفترق للنوم قال لي سهيل : ان داني تود ان تبيع جميع الزبد « بالسوق الاسود » لأستطيع ان اذهب واياها ، بالمال الذي نجمعه ، الى باريس لقضاء عشرة ايام لاهين في ربوعها الجميلة !

ڤيشي ــ حزيران ١٩٤٣

جودة الركابي

* * *

وقعة في تدمر

أي حلم هائم فوق الدروب ... ينهل الاشواق من نبع الطيوب
ويناجي طيف ماضيك اللعوب ... يا عروس البيد يا سحر الغيوب

* * *

مر بالنخل نسيم فأماله ... يجتلي الحسن ويستوحي خياله
حين مد النخل في الوادي ظلاله ... غارقا ما بين أحضان الغروب

* * *

كل شيء صامت غير جناح ... حائم فوق مغانيك الفساح
مولع بالروض يحكي للاقاحي ... والضفاف الخضر أشجان القلوب

* * *

أين يا تدمر أمجاد خوال ... كحلت بالنور اجفان الليالي
لم تزل آثارها بين الرمال ... ترمق الآفاق في صمت كئيب

* * *

واحة نشوى واطلال روان ... غاية الآمال كانت والاماني
أقفرت تروي على سمع الزمان ... من خفايا سرها كل عجيب

* * *

زينب في موكب طلق المحيا ... باسم يختال في الساح رضيا
صفق المجد له شوقا وحيا ... غادة عرباء في الركب المهيب

* * *

يممت للفتح شطر الرافدين ... والتقت بالفرس عند الضفتين
وقعة عم صداها الخافقين ... زينب هبت لتحرير الشعوب

* * *

وانبرت للروم تجتاح البوادي ... بالكماة السمر فرسان الطراد
لم تلن عزما ولم تخضع لعاد ... جاء يبغي ذل مغناها الحبيب

* * *

هللت تدمر للحادي البشير ... ينقل البشرى الى الجمع الغفير
فاهنئي يا بيد بالجيش الكبير ... وافرحي فالملتقى جد قريب

* * *

عاد يطوي بالسرايا من بعيد ... جانب الافق مع الفجر الجديد
اي عيد في ربانا اي عيد ... ترتدي البيد له كل قشيب

* * *

يا عذارى موكب النصر دنا ... خافق الرايات في عرس المنى
قمن فانثرن عليه السوسنا ... وتغنين بأبطال الحروب

ياسين فرجاني



غوتــه ... الشاعر النبي

بقلم : سعد صائب



« ليست المانيا شيئا ، ولكن الالماني كثير بمفرده ، وان توهم الالمان العكس »

غوتــــه

حين هممت بتحديد ما أعنيه بالشاعر ، قبضت قلمي ، لعلمي ان الذي اعرفه عنه يستطيع كل قارىء ان يعطيه ، فليس ثمة فائـدة اذن من تحديده اذا كنت في محاولتي أضيف رأيا « نسبيا » قد اختلف فيه مع غيري ، وقـد لا يرضي الغالبيـة من النقاد والشعراء ... ولكن اذا لم يكن تحديدي ضرورة ، أفلا يمكن ان ادعو كما دعا «برتراند راسل» حين اراد تفهم الفلاسفة ؟ وان ألم كما ألم بجانب من الظروف التي يحياها الشعراء ؟ ذلك لان لهذه الظروف – كما يقول راسل – أثرها البالـغ في توجيههم ، كما ان لتعبيرهم أثره البالـغ أيضا في توجيـــه الظروف التي تحيط بهم ...

حقيقتان متممتان بعضهما ، أثارتا وما برحتا تثيران وجداني .. وحركتا وما انفكتا تحركان تفكيري ، بحيث خلقتا عندي تجربة حياتية جديدة ... تجربة حية !!.

أثر الظروف في توجيه الشاعر !

وأثر الشاعر في توجيه الظروف !

ولعل سائلا يسـألني ... ومـاذا تعني بالظروف . فأجيب : انها نوع من الحياة ، أو انهـا الحياة ذاتها التي يحياها المجتمع او « الكائن الاجتماعي » – كما يقول سبنسر – بكل ما فيها من نواميس وظاهرات واعراض تبدو على جسمها « من تزعزع نفسي ، واضطراب فكري ، وتفسخ روحي » وبـكل ما فيهـا من حوافـز ومقاييس ، ومثل التجديـد والتـكيف والنـمو والتغير ، والاغناء الروحي والمادي لوجودها ... والتضحية والعدالة ، والصـلات الاجتماعية التي تقوم على الخير والايثار والخلق ! ...

انهـا الضمور او الـكظم الشـعوري ، المتجلي فـي الاخـلاق المغلقـة الخاضعة للعادات والتقاليد الضيقة ، والمعتقدات الجامدة .. انهـا الجبن والخور واليأس .. وفي النهاية انهـا النشاط والانتصار الشعوري الفـذ ، المتمثل في الاختراع المستمر والصراع ، والخلق الدائم ، والحب والابداع والامل ! ..

ترى ما هو أثر هذه النواميس والظاهرات ، وتلـك المقاييس والمثل في توجيه الشاعر . وبمعنى ادق واعمق، هل ثمة رابطة بين قيـام الشاعر ، وبين المجتمع الـذي تظهر فيه هذه « التيارات الحياتية » المتعارضة ؟ .

لقد وجد « دي لاكروا » رابطة بين الشاعر والمجتمع ، عندما قرر ان المجتمع هو صاحب الرأي الاول والاخير في الحكم على العمل الفني ، ولكنه لم يشر الى السبـب الرئيسي الذي من اجله يصدر المجتمع حكمه للفنـان أو عليـه . وقد افترض لقيام الشاعر ظهور (علاقة معينة) بينه وبين مجتمعه . واذا لنرى الاستاذ «مصطفى سويف» يتساءل في كتابه القيم « الاسس النفسية للابداع الفني في الشـعر خاصـة » عما يقصد بحديثـه عن مجتمع الشاعر ، وما يقصد بقوله « علاقـة معينة » فيرجىء

الاجابة ، ولكنه يمضي في بحثه ليبين للقارىء (ان هذه البداءة في تفسير الابداع ، قد التقى عندها معظم الباحثين . « فثاولس » يرى ان الخطوة الاولى نحو تعليل الابداع الفني ، سواء اكان ابداع قصيدة أم ابداع صورة ، أم كان غير ذلك هي الكشف عما شهده الشاعر من نقص في بيئته ، وكيف دفعه شعوره بهذا النقص الى تفقد الحل الذي يرضيه ، ويقرر ان الابداع نشاط اجتماعي من بعض نواحيه ، وان الفنان انما يريد به ان يوقظ بعض استجابات معينة فيمن يشهد فنه . ويرى « كوذول » ان حجر الزاوية في تفهمنا للإبداع الفني ، هو تتبع عملية التغيير التي يمارسها الشاعر بالنسبة لجموع الانا المحيطة به . بل ان تتبع هذه العملية هو حجر الزاوية في فهم الابداع أيا كان علميا ام فنيا . غير ان العالم يقصد الى التغيير في المحسوس ، أما الفنان فيقصد الى التغيير في وجدان ابناء مجتمعه . والشيء الذي ييسر لهذا التغيير ان يأخذ مجراه هو وجود تشابه بين احاسيسنا نحن ابناء المجتمع الواحد ... و «فرويد» نفسه حين لجأ الى اللاشعور ليجد فيه منبع الابداع ، لم يستطع أن يقتصر عليه وحده ، فجعل « الأنا الاعلى » وهو صوت المجتمع في نفوسنا ، هو صاحب القول الفصل في رضاء المبدع عما أبدع !

ان النتيجة التي نستخلصها من هذا المنحنى الذي انتهجناه – ونحن في مجال الحديث عن غوته – هي توكيد اثر المجتمع في توجيه الشاعر ، وفي تعليل ابداعه ايضا ... ومهما حاول اصحاب نظرية « الفن للفن » أو غيرهم الدفاع عن نظرياتهم ، وعن « الجمال » الذي خلبهم فألهوه ، وجروا خلفه في حلولية أذهلتهم عن واقعهم ، وجردتهم من المشاركة الوجدانية ، وأغرقتهم في بحران هذه الظلال والاصباغ والاضواء التي يستوحونها من انفعالاتهم الوقتية الطارئة ، ومن عالمهم « اللاشعوري » المسحور المعقد .. نقول مهما حاول أصحاب تلك النظريات تسويغ اعمالهم الادبية ، فان صوت المجتمع الداوي يهيب بهم مع الشاعر « كيتس » هاتفا : « من أنت . أنت حالم تعيش في حمى .. انك تثير آلام الناس وسخطهم ، ولكن ليس لديك البلسم الذي تلقيه فوق متاعبهم وآلامهم ... ما اضعفك » ...

ولننظر الآن في التجربة الثانية ، وهي أثر الشاعر في توجيه المجتمع ..

لقد بتهر (كارليل) بالشاعر النبي ، الشاعر البطل الذي استوعب عواطف مجتمعه ، وبلور في ذاته الحية افكار عصره ، واستلهم العوامل الاجتماعية المتشابكة التي يزخر بها ، وتفاعل مع هذه العواطف والافكار والعوامل ، بشكل ادى الى ابداع ، دفع المجتمع الى الانبعاث ، وحرره من الركود ، وطهره من المساوىء الاجتماعية ، وانتزع منه عيوبه ، ناشدا في ذلك انتصار القيم ، راغبا في حمل مجتمعه على تمثلها وانتهاجها بل ممارستها . ولئن كان بين الشاعر والنبي – في نظر المتأخرين – فرق كبير – كما يقول « كارليل » – فلقد كان مدلولهما في بعض اللغات القديمة واحدا . فلفظة « فاتيس » معناها شاعر او نبي ، والحقيقة أنه ما زال بين النبي والشاعر – لو يفقه الناس – شبه جد قريب ، وما برح جوهرهما واحدا ...

كان « دانتي » – الشاعر النبي – مرآة القرون الوسطى، بل لسانها المعبر ، اذ استوعب في ذاته تجربة هذه الحقبة الفاصلة من تاريخ اوروبا ، تجسدت فيه فعبر في ملحمته « الملهاة الالهية » أدق تعبير واصدقه عن الروح الدينية التي عرفت بها تلك الحقبة . وأتى « شكسبير » – الشاعر النبي أيضا – فأكمل ما قام به «دانتي» وزاد عليه تصويره عصره كما كان اذ ذاك ، بما فيه من مظاهر الفروسية والنجدة ، وشتى صنوف الاهواء والمشارب والمطامح والمطامع ، ومختلف الاساليب الدنيوية في التفكير والعمل والرأي ...

وها نحن أمام « غوته » الشاعر المعجزة ، الذي جوهر الشعر ، واستوعب العواطف ، وبلور أفكار عصره فكان بحق الشاعر النبي .. ولقد أعجبنا كتاب قيم بعنوان « الالمان – تاريخ مزدوج لأمة » للكاتب الالماني الشهير « اميل لدويغ » .

عقد فيه فصلا ممتعا عن «غوته» استهله بقوله : انه لم يعثر بين شعراء ألمانيا ومفكريها على مثيل له بينهم أو ضريب يقرنه به ، ولم يجد وهو يستعرض عباقرة العالم غير « ليوناردو دافنشي » قرينا « لغوته » . ولئن انجب الانكليز – كما يقول « لدويغ » – أعظم مؤلف

مسرحي ، وابدع الايطاليون أكمل شعر وأتمه ، ووهب الفرنسيون فيلسوفين أو ثلاثة واسعي آفاق الفكر ، فان الالمان قد نقلوا بدورهم الاحاسيس والمشاعر الى مرحلة من الانسجام شد ما انتهى « غوته » الى التآلف بينهما ... وهكذا نرى « لدويغ » يدعم حجته ، ويؤيد حكمه بما تفرد به « غوته » من ارادة وتصميم على العناية بابداع آثاره ، وبما عرف عنه من انصراف عن الطبيعة من أجل السياسة ، ونأي عن الحكمة في سبيل العمل اليدوي ، وانطلاق من مجال التفكير الى مجال العمل ، وتوزع بين الشك والتهكم ... فكأنه «ليوناردو» جرب الكل كي يكتشف وسائل جديدة للمعرفة ، وكأنه ما زود بالارادة الا ليبدع من حياته أثرا فنيا رائعا ، ولعل العالم قد أحسن صنعا - كما يقول لدويغ - اذ بت بتصنيفه بين الشعراء ، كما بت بتصنيف « ليوناردو » بين الرسامين ، فما منهما الا وقد اختص بفن امتاز به وتفوق ، وخلفه للاجيال الصاعدة ، وما منهما الا وقد احتل مكانه ، وتفرد وحده بتقديم لوحته ، أو شعره ، ورواياته ومآسيه ! ...

انهما عبقريتان فذتان من نوع خاص ... عبقريتان جامعتان شاملتان ، مثلهما كمثل عبقريات الانبياء والحكماء ... ولعلهما الى عبقرية الانبياء اقرب ، اذ امتازا عن الحكماء بتفردهما ... امتازا عن « ارسطو » و « بايكون » و « مونتسكيو » وغيرهم ، بقدرتهما على الابانة ابانة تامة في الفن ، واستطاعت عبقريتاهما ان تعبرا عن أفكارهما وآرائهما أروع تعبير واكمله ، فما من رائعة من روائعهما الا وكانت دليلا أكيدا على شمولهما ، فاللوحة الرائعة التي تفرد بها « ليوناردو » والشعر الرفيع ذو الثلاثين نشيدا الذي غناه « غوته » قد عقدا على مفرقيهما هالة من نور الهي ... فثمة لدى « ليوناردو » كما لدى « غوته » طاقة مبدعة من القدرة الكاملة الدقيقة اتحدت لتقفو عدم الدقة في الخليقة وتجاربها .. ولقد وصف « غوته » العالم وعطف عليه ، وعبر عن واقعه ابلغ تعبير ، مستلهما منه تجاربه الذاتية ، كما عثر ذات مرة - في رائعته الخالدة « فوست » على انسان يمثل الانسانية في عظمتها وانحطاطها ... انسان لا يكل او يمل ، فيه ظمأ لا يرتوي الى كشف خفايا القلب واسراره ، وفيه توق ملح الى العب من معين الثقافة ، ولم يحل شيء دونه ودون ان يكتشف ، وان يوسع من تجاربه في أرفع درجة واسماها ، فاستطاع بذلك أن يتخلى لاعقابه عن جميع هذه التجارب ، كما استطاع ان يريهم ردود الفعل ذاتها التي مر بها ...

وهكذا نراه ينقل حكمته المتفتحة الى العالم أجمع ...

كان « غوته » قرين « ليوناردو » في العبقرية ...

استأنف « ليوناردو » تجاربه في الالوان فأبدع ...

وصاغ « غوته » شعرا هز أوتار القلوب وكأنه صادر عن آلة موسيقية ...

لقد عبر عن عصره بتعبيره عن ذاته ، فكان ممثل هذا العصر ، وكان صوته ... صاغ الاعمال الانسانية شعرا عذبا استقطب فيه الحياة بكل ما تزخر به من أحاسيس ومشاعر ... فكان بحق الشاعر النبي الذي ادرك رسالته بعد ان زج نفسه في معترك حياة مجتمعه ، وفهم أفكار هذا المجتمع ، واختبر أحداثه ، وكان تماسه الواعي اليقظ الصادق مع الحياة والاحياء والاحداث سببا جوهريا في اجادته تصوير الحياة والاحياء والاحداث ، عرضها جميعا عرضا واقعيا فذا ، حرك فيه شعور معاصريه ، ومن أتى بعدهم ، ووسع أفق التفكير والتخيل امامهم ... كما تفرد بمواهب ومميزات لم تتح لغير قرينه « ليوناردو دافنشي » ، ووهب عبقرية لم تقتصر على الادب والفن فحسب ، بل تجاوزتهما الى العلوم الوضعية ، سكبت هذه العبقرية رحيقها في كؤوس لما تزل تسقي الظامئين العطاش ، ولما تن تستهوي في سموها وكمالها النفوس المبرحة التي ما انفكت تستظل - في وله وخشوع - بظل ابداعها ، وتود لو تحضنها وتضمها بين جوانحها ، لان فيها ايقاظ القوى ، ولان فيها بعث أروع ما في الحياة ، واسمى ما في الوجود من حق وخير وجمال ! ..

دمشق - سعد صائب

من « جمعية الادباء العرب »

عرض حال نابي

- ٣ -

بقلم : محمد حيدر



من : ع - ع - ع

الى الاجيال المقبلة

الموضوع : اجتماعي (اعلان زواج .. مناقصة محلية لتقديم زوجة .. شروط ومواصفات الزوجة ...)

* * *

عصويص ...

ذلك هو اسمنا اللعين .. وانه لاسم غريب ، حتى ليكاد يعتبر ظاهرة فريدة في حضارة القرن العشرين ! ولا نعلم أية اسباب دفعت والدنا فاختار لنا هذا الاسم من بين آلاف الاسماء ، وقد كان باستطاعته ان يختار لنا اسماً آخر .. رشيقا ، انيقا .. خفيفا على السمع .. يثير رضى الناس ، بدلا من هذه الموجة العارمة من السخط والقرف ، عند سماعهم اسمنا المشار اليه اعلاه . وبالواقع ، فان لهم كل الحق في ذلك ، لاننا نحن بالذات ، نكره اسمنا ، ونتندر احيانا - في سرنا - عليه !

لقد كان من نتائج هذا الاسم ، ان ظل شخصنا على الدوام هدفا وموضوعا للسخرية لا ينضب ، الامر الذي دفعنا للانزواء والعزوف نهائيا عن اقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين . وقد رسخت فينا هذه العزلة بمرور الايام واصبحت اساسية في شخصنا الكريم ! ..

لذلك حاولنا عند قدومنا الى درعا لنقوم بمهمة التدريس ، ان نتحاشى الناس قدر المستطاع ، مما جعلنا نظل دائما في البيت . حتى اشفق علينا اصدقاؤنا من هذه العزلة واخذوا يدفعوننا للاشتراك معهم في بعض مغريات الحياة ! وبالفعل ، فقد شعرنا بتحسن .. ولكن الكآبة ظلت تسيطر علينا بشكل واضح وعميق . مما دفعهم للتفكير جديا في ايجاد حل لما نعانيه - وقد تداولوا الامر بينهم ، وقر رايهم على حل يعتبر ، في زعمهم ، الحل الوحيد . ثم اختاروا صديقا قريبا الينا ليبلغنا ما اجمعوا عليه ..

جاءنا الصديق وقال لنا بلهجة جدية : يجب ان « تكمل نصف دينك » .. الامر الذي سينقذك من من العزلة ... والفوضى .. ويعود عليك بمنافع اقتصادية واجتماعية لا تحصى .

تفكرنا مليا في الامر .. فالذي نعرفه عن شخصنا انه ورع في بعض الاحيان ! .. ولكننا قلنا - لنفسنا طبعا - ربما كانت ثقافتنا الدينية ضئيلة دون ان نعلم . ولذا عمدنا في اليوم التالي ، عملا بنصيحة صديقنا المذكور ، الى شراء كتب دينية متعددة ، وانكببنا عليها حتى حفظناها على الغيب . وصرنا نغتنم شتى المناسبات لاثارة قضايا دينية ، لنبرهن لاصدقائنا بأننا نفهم كثيرا في شؤون الدين .. وان ديننا في غاية الكمال !

رغم ذلك ، ظل رفاقنا يلحون علينا لاكمال نصف ديننا ! عند ذلك لم نجد بدا من دعوتهم الى نقاش جدي في امور الدين . ولكن الذي راعنا منهم ، انهم شرعوا يضحكون بشكل لم نعهده من قبل ! (استغربنا ذلك أ! .. حيث لم يقم شخصنا بشيء من شأنه الاضحاك ..) استفسرناهم بغضب عن السبب .. أفهمونا بأن « أكمال نصف ديننا » معناه : الزواج .

الزواج ؟! .. هكذا صرخنا دون ان نشعر ، وقد بانت على وجهنا علائم الرعب .. ذلك اننا تذكرنا فورا صديقا لنا متزوجا .. وكنا نزوره بين حين وحين !

طرقنا بابه مرة .. ففتحت لنا حرمه (المصون طبعا!..) وما ان رأتنا حتى تلقتنا بوجه عابس ينذر بالشر .. وقد اوشكنا ان نتراجع ، ولكننا تشجعنا وسألناها بصوت خافت مهذب عن صديقنا .. فأجابتنا بأنه موجود !.. وعندما علم بنا ، صاح فينا يدعونا للدخول !..

قالت لنا حرمه – علمنا فيما بعد انها غير مصون .. – بلهجة الوعيد : تفضل !.. – ساءنا جدا مخاطبة شخصنا بصيغة المفرد –

تفضلنا ، ونحن نردد في سرنا الآية الكريمة : لن يصيبكم الا ما كتب الله لكم – ثم قادتنا الى غرفة الضيوف . ولكننا استطعنا ان نلمح ، ونحن داخلون ، صديقنا يحبو على اربع .. ويكاد يكون عاريا من الثياب !..

خجلنا من نفسنا كثيرا ، وقلنا : لعن الله غباءنا ، فقد فاجأنا صديقنا في وقت غير ملائم ، لان حرمه ايضا كانت مشعثة الشعر ، وبهيئة تدل على الاضطراب !

جلسنا في غرفة الضيوف واخذنا نقارن بين نظافتها وترتيبها .. وبين غرفتنا التي لا تفترق بشيء عن المطابخ القديمة ، او حوانيت العطارين !.. (تحسرنا على شخصنا وقلنا هذه ولا شك نعمة من نعم الزواج !) ثم دخلت علينا حرم صديقنا .. وقدمت لنا فنجانا من القهوة ، قائلة بان زوجها سيحضر بعد لحظات ..

ولقلة خبرتنا في أصول الاحاديث والتصرف في مثل هذه المناسبات الاجتماعية .. فقد اشعلنا سيكارة لنخفي اضطرابنا .. واخذنا نرشف القهوة بيد مرتعشة وصوت مسموع . فقد كانت حرم صديقنا ترمقنا بنظرات عدائية واضحة .. (رغم سمو اخلاق شخصنا .. وجدنا نفسنا ننظر خلسة الى ساقيها العاريتين .)

دخل صديقنا بعد قليل وقد ارتدى ملابسه .. واعتذر لنا عن تأخره وهو ينظر الى حرمه بابتسام ! وقال لنا بأنه كان يقوم بواجباته .. – قلنا لنفسنا .. الزوجية طبعا ! – .

التفتنا الى صديقنا .. وكانت حرمه قد خرجت من الغرفة ، فابدينا اسفنا لازعاجه . ولكنه اجابنا بأنه مسرور منا لانقاذنا اياه !

ظهرت علينا علائم الدهشة !!..

وقد لحظ ذلك صديقنا فأخبرنا – همسا – بأنه كان يمسح الغرفة ، لان ذلك مفروض عليه .. وقد انقذناه بقدومنا من غسل الصحون !

قلنا له وقد اتسعت دهشتنا : هل يفعل ذلك كل الازواج ؟! قال : واكثر منه بكثير !..

قلنا له وقد استغلق علينا الامر : ما فائدة الزواج اذن ؟ قال : من الصعب ان نشرح ذلك .. ولكن على العموم ، فان فوائده لا تظهر في وضح النهار . مكثنا برهة ثم ودعناه .. ونحن نحمد الله في سرنا على ان شخصنا لم يتزوج بعد !

لنعد الى موضوعنا السابق :

الزواج !.. الزواج !!.. هكذا قلنا لاصدقائنا . قالوا : طبعا الزواج ، وما المانع في الامر ؟

قلنا : لا شيء .. وذهبنا الى بيتنا نفكر ...

كيف يا ترى سنقدم على مثل هذه الكارثة ، ونحن على جهل تام بكل ما يتعلق بشؤون النساء ؟ ثم ما يدرينا ان زوجتنا القادمة لن تكون كحرم صديقنا المذكور ، فتجعل من حياتنا جحيما لا يطاق .

وبالنظر الى طبيعتنا المسالمة ، فان حرمنا المقبلة ستجعل من شخصنا عبدا لها وترغمنا على المسح والجلي والقيام بكافة شؤون البيت .. في الوقت الذي نحن فيه اكسل عباد الله على الاطلاق ! وبالاضافة لذلك ، فان العزلة التي اصبحت طبيعة في شخصنا ، تجعل من الصعب علينا قبول العيش المشترك مع اي مخلوق كان !..

قلبنا الامر على وجوهه .. وتذكرنا كثيرا من الحوادث التي وقعت لاشخاص نعرفهم ، فوجدنا انه من المستحيل علينا ان نقدم على الزواج .

لكن أيستطيع شخصنا يا ترى ان يقضي عمره في عزلة تامة ؟ فالمراة ، رغم ما هي عليه من سوء ، يمكن ان تكون انيسا لنا في أواخر عمرنا .. وربما ساعدتنا في كثير من الامور .

بقينا في حيرة عدة ايام !.. واخيرا قلنا لنفسنا .. سنعتبر زواجنا من بين المصائب التي تقع علينا ، ولن تضيرنا كارثة جديدة تضاف الى ما مر بنا من كوارث !

ذهبنا الى اصدقائنا فأبلغناهم بعزمنا على اكمال نصف ديننا .. وطلبنا منهم البحث عن زوجة تليق بمقامنا المعروف . (تخيلنا شخصنا يتنزه في الشوارع .. ويجر وراءه حرمه باعتزاز ، ونحن ننظر الى المارة بكبرياء ... واحيانا ننظر بعبوس ، فيما لو تجرأ احدهم ، كما نفعل احيانا بنساء الآخرين ، فرمق بنظرة خبيثة حرمنا المصون)

مضت علينـا ايام اخبرنا بعدها اصدقاؤنا بعثورهم على عائلة كريمة ذات مركز اجتماعي مرموق .. وتناسب المقام ! وحسب خبرتهم بالامر .. فقد طلبوا الينـا أن نهيء أنفسنا على احسن وجه .. للذهاب مساء والتباحث في موضوعنا المذكور .

ذهبنا الى بيتنا ونظرنا طويلا في المرآة .. ـ خجلنـا من شخصنا ! .. ـ فوجـدنـا أنــه من الافضل لنا الا نذهب .. والا فسد الامر ! .. ولكننا تذكرنا ان اللياقة تقضي بذهابنا معهم ، والا كان ذلك مدعاة للشكوك !..
حلقنا ذقننا .. ومسحنا حذاءنا .. ونظفنا بذلتنـا من الاوســاخ وبقع الزيت والغبار ! وذهبنا مع رفاقنا الى المكـان المقصـود .
طرق احدهم الباب .. ـ شعرنا بقلبنا يكاد يتوقف.. ـ ففتح لنا صاحب البيت ، وكان على انتظار .

جلسنا أول الامر نتحدث في أمـور عادية .. الى ان بـدأ صديق لنا ، فأعلن عن رغبـــة شخصنا بالمصاهرة بالمصاهرة الكريمة .. ـ الحقيقة .. لم تكن لنا رغبــــة فى ذلـك ! ـ فرحب الرجل لاول وهلة بالامر . ثم التفت الينـا وسألنا عن مهنتنا . قلنـا : معـلم . فأجابنـــا باستخفاف وهو ينظر الى ثيابنا ، معلم !!.. قلنا : نعم .. معلم ! ســألنا ثانية عن دخلنا الشهري .. قلنا : في حدود ثلاث مئـة ليرة . قــال : فقط .. فقط !.. قلنا فقط سـيدي !

ثم سألنا عن اسمنا واسم عائلتنــا .. ـ تلفتنا الـى أصدقائنا حائرين .. قلنا بصعوبة : عصويص بن عكرمة.. والكنية عضروطي ! ..

رمقنـا بنظرة سريعة حقيرة ، واخذ يردد وكـأنه لا يصدق أذنيـــه : عـ .. عصويص .. ومعلم !.. وثلاث مئة .. وعضروطي !!.. قلنا له بانفعـال دون ان نشعر : نعم .. عصويص يا سيدي .. ومعلم ايضا ! الا يعجبك ؟ ماذا تريدنا ان نكون ؟ ريتا .. سوزان .. مارلون براندو.. رئيس شركـة !..

نظر الينــا أصدقاؤنا باستغراب ، ثم اعتـذروا بأدب واستأذنوا بالذهاب .

خرجنا جميعا بخفي حنين ! ..
كان الالم واضحا على وجهنا ، وقد احترم ذلك رفاقنا فلم يتوجه احد منهم الينا بأيـة ملاحظة . وقد ظللنـــا بعدها عدة ايام لا نخرج .. خجلين من البيت ! بعـد ان قررنا العدول نهائيا عن التفكير بالزواج !

زارنا أصدقاؤنا .. وما زالوا بنا حتى اقنعونا بالتراجع عن هـذا الراي ، قائلين بأنهم وجدوا لنا عائلة « عصريـة متحررة » لا تأبه كثيرا لهذه الخزعبلات ! وفعلا ذهبنـــا في اليـوم التالي لزيارة العائلة الآنفة الذكر . وعنـدمـا طرقنـا الباب ، فتحت لنـا صبية رائعـة الجمال .. فسألناها عن الوالد الكريم !..

قالت لنا : تفضلوا .. ونادت اباها بصوت مرتفع . ـ كانت تتهزوز بطريقة عجيبة تعجز عنها الممثلات !.. ـ قـدم والدها فرحب بنا ودعانا للدخول وعندما قر بنـا المقـام .. وبعد المجاملات المألوفة ، بدأنا الحديث عـن الزواج .

التفت الرجـل الينا وقـال : نحن عائلـة تقدمية ..

ـ قلنا في سرنا : واضح ذلك ! ـ لا يهمنا المال أو المركز الاجتماعي ، المهم ان تقبل كريمتنا .. واتبع كـلامه بالنداء على الفتاة !

اقبلت ابنته ، وكانت هي التي فتحت لنا البـــاب . فحدثها أبوها بالامر .. فما راعنا منها الا وهي تســـأل بجراة يحسدها عليها الرجال : من الخطيب ؟

وقف شخصنا احتراما لها ، وقلنا : الداعي . ـ رسمنا على وجهنا ابتسـامة مخجلة ! .. ـ

تفحصتنا بدقة .. وهي تلوي شفتيها ، ثم قالت لنا : تفضل .. اجلس .. لا لزوم لهذه الشكليات . ثم بادرتنا بالسؤال عن اسمنا . قلنـا : مخدومـكم عصويص .. ولم نكمل ! ..

فوجئنا بهـا تضحك وهي تقول : ظريف .. ظريف ! صاحب نكتة . ـ حسبتنا نمزح ـ ثم سـألتنا عن عملنا. قلنا لها : أستاذ .. أستاذ فلسفة وتوابعهـا !.. قالت : بون .. عظيم .. اكسلانس ! الاستاذ مثقف .

قلنــا : أخجلتم تواضعنا .

قالت : أي الافلام تحب ؟ فوجئنا بالسؤال .. ولـكننا أجبناها بسرعة : أفلام كوداك !.. ـ قرانا مـرة اعلانـا في الصحف عن هذه الافلام ! ـ

رأيناها تضحك مـن جديد قائلة : أستاذ مودرن .. سبـور ..

قلنا لها بلباقتنا المعهودة : بعض ما عندكم .
سألتنا ثانية : أي أنواع الدانس والميوزيك تحب ؟
قلنا : الدبكة والموال البلدي !..

ظنت اننا نمزح ايضا ، فاسترسلت في الضحك حتى كادت تستلقي على قفاها .. وهي تردد : بيان .. تري بيان !.. ولكننا ظللنا على هيئتنا الجدية دون ان نشاركها الضحك وقد استغربت ذلك منا فسألتنا السبب . وعندما أكدنا لها باننا نقول الحقيقة ، وجدناها تنظر الينا بازدراء وتلتفت الى ابيها قائلة : أستاذ رجعي .. نو .. نو .. رجعي خالص . وغادرت الغرفة بعنف !

نظر الينا والدها قائلا : سوري .. شانس يوق !

قلنا له بغضب : بركات ورسي .

خرجنا ونحن نلعن في سرنا أصدقاءنا .. والزواج .. وكل نساء العالم العصريات . ثم التفتنا الى اصدقائنا فشكرناهم فشكرناهم على الجهد الذي تكلفوه ، ورجوناهم الا يهتموا اطلاقا بزواج شخصنا الكريم !

مضت علينا أسابيع ونحن في هداوء تام . ولكن أحد أصدقائنا وافانا ذات يوم وانبأنا بانه عثر لنا على ضالتنا المنشودة ! ولكننا طلبنا منه ان يغلق الحديث ، فقد كففنا بعد الذي جرى عن الزواج . ولكنه مازال يلح علينا ويغرينا حتى انتزع منا وعدا بالموافقة على بحث الموضوع من جديد . وبعد مداولات قررنا ان ندعو والد الفتاة الى بيتنا ، لاننا حرمنا على انفسنا زيارة انسان !

قدم الرجل مع صديقنا المذكور . وعندما دخل بيتنا وجدناه يتفحص البيت قبل السلام !.. - استغربنا منه ذلك ، فهل قدم لرؤيتنا أم لشراء البيت ؟ - تركناه يفعل مايريد ، حتى اذا اتم مهمة التفتيش .. دعوناه الى الجلوس . وبالنظر لما مر بنا من احداث ، فقد اكتسبنا خبرة في مثل هذه الامور ! لذلك بدأناه الحديث .. فشرحنا له وضعنا بالتفصيل ، وابدينا رغبتنا في الزواج من كريمته المصون .

أجابنا الرجل : اسمع يا أستاذ .. كلامك على الراس والعين . ولكنني رجل واقعي ، واحب ان اعرف سلفا كم تدفعون .

- تحيرنا .. وقلنا في سرنا : ندفع ماذا؟ولأي شيء ؟!- قلنا له دون ان نفهم المقصود : كما تريدون !..

قال : اكتب لئلا ننسى . أمسكنا ورقة وقلما وبدأنا الكتابة .

قال : اولا - المهر خمسة آلاف ليرة . (قلنا في سرنا : الا يجوز ٤٩٠٠ ؟)

ثانيا - طابق .. (قلنا : الا يجوز ملحق ؟)

ثالثا - سيارة .. (قلنا : الا يجوز بسكليت ؟)

رابعا - خادمة .. (قلنا في سرنا : لنا عشر سنوات نخدم انفسنا)

خامسا - وان تقضي كريمتنا الصيف في لبنان .. (قلنا : والشتاء اين ؟)

سادسا .. سابعا .. وخوفا من ان يستمر في العد الى المئة .. فقد رجوناه التوقف قليلا ، لاننا تعبنا من الكتابة !

وبعد فترة تابع صاحبنا شروطه .. فتظاهرنا باننا نكتب ، في حين اننا لم نسجل حرفا منها على الاطلاق . وعندما انتهى من حديثه ، قلنا له : نرجو ان تتركوا لنا فرصة للتفكير .. وسنوافيكم بجوابنا في غد !..

استأذن صاحبنا وانصرف . فنظرنا الى صديقنا وكان يستمع كالابله ، وقلنا له : أهذه هي الضالة المنشودة ؟ اعتذر صديقنا وذهب !

بقينا بعدها أشهرا طويلة في وحدة تامة .. لا نزور ولا نزار . وقد استطعنا في البدء ان نتحمل ذلك ، ولكن هذه الوحدة اخذت تثقل علينا لتقدمنا في العمر ، مما دعانا لاعادة التفكير في زواج شخصنا من جديد . وبالنظر للهزائم المتتالية التي منينا بها من سابق ، فقد هدانا تفكيرنا - والحاجة أم الاختراع - الى استعمال وسيلة غريبة ، لانعلم ان احدا سبقنا اليها من قبل .. كما انها تتلاءم مع تطور الحضارة في العصر الحديث :

ان كافة المؤسسات والشركات ودوائر الدولة ، تلجأ الى الصحف للاعلان عن حاجاتها المتعددة ، وذلك عن طريق المناقصات العامة ، حيث تؤمن مصلحة الشركات او الدوائر المذكورة بشكل افضل .. نظرا للتزاحم ، كما تقول قوانين الاقتصاد . لذلك رأينا انه من الممكن ان نلجأ الى الاعلان عن رغبة شخصنا في الزواج بواسطة مناقصة ..! ولما كانت حاجتنا لا تستحق مناقصة عالمية .. لتوفرها في الاسواق المحلية ، لذلك ستكون مناقصة محلية ، على هيئة « عرض حال » عن الزواج .. نستطيع به ان نتقي شر الهزائم السابقة ، كما نستطيع ان نبين بواسطته وضعنا بالتفصيل - وبالوقت ذاته نعلن عن المواصفات والشروط التي نرغب ان تتوفر في حرمنا المقبلة .. المصون .

« اعلان زواج .. مناقصة محلية لتقديم زوجة »

تبين لنا خلال حياتنا الطويلة - وسنذكر لكم عمرنا

بعد قليل ــ ان القضايا المالية ، تلعب دوراً هاماً في شؤون الزواج وفي سعادة الزوجين . وقد بلغ من نفوذ المال .. ان الانسان في عصرنا الحاضر ، اصبحوا ينظرون اليه على اساس مايملك ، لا على اساس صفاته ومواهبه .. التي قد تضعه فوق كثير من اصحاب الاموال . وهذا لا يعني ان شخصنا من هذا الاتجاه ، بل نحن تماما على النقيض . ولكنه امر ملحوظ في عصرنا الحاضر ، وعلينا ــ تمشيا مع الامانة ــ ان نسجله ولو انه خاطيء من الاساس ! لذلك ستكون القضايا المالية .. اولى الشروط التي نذكرها في مناقصتنا المشار اليها اعلاه .

انمركزنا المالي ليس بحاجة الى تعريف وصداقتنا بالافلاس قديمة العهد .. فنحن امران لا يفترقان . حتى ان كثيرا من الدوائر المسؤولة ، كانت تتردد طويلا قبل اعطائنا وثيقة بحسن السلوك .. او شهادة بخلونا من الامراض .. أو بأننا مدرس ناجح .. ولكن عندما كنا نطلب من هذه الدوائر وثيقة بفقر الحال ، كانت تسارع فوراً الى اعطائنا الوثيقة المذكورة ، دون نقاش .. او سؤال .. أو جواب ! !

وبالمناسبة ، فان افلاسنا الدائم كان يدفعنا للاستدانة باستمرار ، ولما كنا ــ كعادة شخصنا في اغلب الاحيان ــ لا نستطيع وفاء لهذه الديون ، فقد وجدنا نفسنا نهرب من وجه الدائنين باستمرار .. مما دعانا لأن نحفظ « جغرافية » مدينة كبرى كدمشق ، الامر الذي يعجز عنه علماء الجغرافيا بالذات . ذلك اننا قد نفاجأ بغتة بدائن .. فنروغ منه ــ ولكنه يأخذ بمطاردتنا في شوارع دمشق ، ونستمر في الزوغان منه بمهارة زائدة ، اكتسبناها بطول المران . وخوفا من تورطنا في زقاق ليس له منفذ .. مما يستدعي وقوع شخصنا بين يديه ! .. فقد اضطررنا لدراسة دمشق ، شارعا .. شارعا .. وزقاقا زقاقا .. واصبحنا نحفظ عن ظهر قلب كافة الشوارع المسدودة .. أو التي تصلح منافذ للهرب !

لذلك نغتنم هذه الفرصة ، لنعرض خبرتنا على وزارة الشؤون البلدية ، للاستعانة بنا في هذا الميدان . كما اننا نتقدم اليها برجاء لهدم كافة الشوارع المسدودة .. خوفا من وقوعنا ذات يوم في شارع مسدود .

لنعد الى موضوعنا السابق :

ان افلاسنا من الامور البديهية .. وتلك أولى السيئات في شخصنا الكريم !.. صحيح اننا نتناول مرتبا ضخما قد يصل أحيانا الى خمس مئة .. ولكننا لا نكاد نغادر المحاسب بدقائق ، حتى يكون ما بأيدينا قد تبخر بسرعة البرق . لذلك نلفت انظار حرمنا القادمة الى هذه النقطة بالذات ، فنحن لا نستطيع ان نشتري لها طابقا ، أوملحقا ، حتى ولا خما للدجاج !..

هذا .. وقد ننفق في يوم مايكفينا لعشرة ، وقد نظل بقية الشهر على الكفاف ! ولكننا ، بخبرتنا المعروفة في الاستدانة ، نستطيع الاقتراض من اي شخص كان.. لذلك نطمئن حرمنا المصون الى أنها ستكون بأحسن حال ! ..

ملاحظة : يستحسن في حرمنا أن تكون ميسورة الحال ، لا لنفيد من مالها .. ولكن لنستطيع ارسالها الى اهلها عند اللزوم ! ..

هذا عن الناحية المالية .. اما المركز الاجتماعي وسمعتنا بين الناس ، فليس مما يسر بحال من الاحوال ! .. يكفي أننا « معلم » .. وهذا لا يعني أننا نكره او نحتقر هذه المهمة ، بل على العكس من ذلك . فقد اخترناها عن قناعة تامة .. لشرفها وللدور الخطير الذي تؤديه في بناء الامة . ولكن نظرة الناس للمعلم ، نظرة سيئة ولا تلقى مهنته سوى الازدراء . حتى لقد قيل : اذا ساء الزمان ، وافلسنا ... نصير معلمينا .

اما سمعتنا ، فهي « زفت » على طول الخط .. دون مبرر او سبب معروف . وبالواقع ، فان كراهية الناس لنا تحيرنا باستمرار ! فالذي نعلمه عن شخصنا .. أنه مسالم ويريد الخير لكافة الناس . ولكن يبدو ان الجمهور يحاول ، لحسده ، تشويه العباقرة والموهوبين . ونحن ، لحمد الله ، نملك الطرفين ! ..

صحيح ان احد الاشخاص ضربنا مرة على خدنا الايمن .. ولكن بدلا من ان نديز له الايسر ، ضربناه على خديه ، ثم رفسناه على قفاه .. واتبعنا ذلك ببصقة على الوجه ! ولا نعتقد أن مرجع سوء سمعتنا لهذا السبب بالذات .

لنعد الى موضوعنا السابق :

أما اسمنا .. فقد شرحنا في عروضنا السابقة مما لحقنا بسببه من اهانات ! ولكن هذه القضية ليست بذى بال ، فقد تقدمنا بطلب الى دوائر النفوس ــ باعتبارها المختصة بهذه الامور ــ لتحويله من عصويص الى : ريتا ... جورج .. مارلين ــ طبعا مونرو ــ ميشيل ... اي واحد من هذه الاسماء . وعندما يتم لنا تبديل الاسم فانه لن يبقى هناك ما يشغل بال حرمنا المصون !

(رفعنا بصرنا مدهوشين .. نحن كاتب عروض الحال !.. وقد حسبنا عصويص يمزح ! ولكننا وجدناه جديا الى أقصى الحدود ! وعندما لفتنا نظره الى أن هذه الاسماء للنساء .. قال لنا بعنف : لا فرق .. لا فرق !.. ان كثيرا من الشباب في عصرنا يقلدون النساء، والنساء أضحين من المسترجلات ، بحيث لا نستطيع ان نميز بين الطرفين ! ..)

وعلى ذكر الاسماء ، فاننا نفضل ان يكون اسم حرمنا من الاسماء الحديثة ! وطبعا ليس لنا اعتراض على أسماء مثل : فدوى .. ناديا .. ابتسام .. صليحة .. ولكننا نؤثر ان يكون اسما يوحي بالبهجة والتفاؤل ، فنحن بالواقع ، نفضل اسماء مثل : حياة .. آمال .. ثريا .. ابتهاج .. ويسرنا اكثر لو كان اسمها : ليلى !.. لاننا نرغب ان نمثل معها دور « قيس » . ومع ذلك فان الاسم لا يجب ان يقف حاجزا .. فشخصنا لا يقيم وزنا لهذه الامور !.

هذا فيما يتعلق بالاسماء ...

ولكن القضية التي حيرتنا ، كانت قضية « العلم » ! لان شخصنا ، باعتباره يحمل شهادات كبرى .. فقد دعانا هذا التفكير مليا في الامر : هل تلائمنا يا ترى فتاة متعلمة ، أم فتاة تعيش على بركات الله .. لا قراءة ولا كتابة ، ولا من يحزنون ؟

ترددنا طويلا في تفكيرنا .. فالذي لا شك فيه ان الحضارة الحديثة تميل الى اعلاء شأن العلم والمتعلمين ، ولكن خبرتنا في الموضوع ، تجعلنا نشعر بقرف من الزواج بالمتعلمات — ونحن اميل الى جاهلة لا تقرأ ولا تكتب ، لان كثيرا من رفاقنا الذين تزوجوا متعلمات .. كانوا تعساء جدا في حياتهم . لان المتعلمة ، باعتبارها من حملة الشهادات ، لا تفتأ تثير الجدل والنقاش . فاذا قال لها زوجها اعطيني كأس ماء .. ناقشته في الجراثيم ، واذا طلب قليلا من الملح ، جادلته في كلور الصوديوم وضغط الدم . واذا انتهر ولدا من اولاده ، فالطامة الكبرى على رأسه ذلك النهار .. لانها تظل تسرد له كل ما قيل في علم النفس من نظريات عن تربية الاطفال والعقد النفسية ، بادئة من سقراط حتى فرويد وبياجيه .. والعبد الفقير! — بالمناسبة لنا نظريات متعددة في تربية الاطفال ، منها : الضرب .. والجلد بالحبال .. والتجويع .. وآخرها الوخذ بالابر والكي بالنار ! .. — ولن تسكت «المحروسة» عن النقاش .. حتى ينقلب الجو العائلي الى مدرسة .. ولا نحب ذلك بحال من الاحوال .

عدا ذلك .. فالمتعلمة — خاصة من حملة الشهادات — تعطي لنفسها الحق في التصرف حسبما تشاء ، زاعمة ان هذا من شروط المساواة . فهي تغادر البيت متى تريد، وتعود عندما تشاء !!.. كما انها ، لغرورها .. ورغبتها في اظهار علمها الغزير ، فانها لا تكف عن الحديث بحيث تصبح ثرثارة الى ابعد الحدود .

لا نحب ان يفهم من هذا اننا ضد العلم ، ولكننا لانرغب لحرمنا ان تكون متعلمة ، حرصا على هدوئنا العائلي . وخوفاً من اتهامنا بالرجعية وعدم مسايرة العصر .. فاننا نوافق على زواج شخصنا من متعلمة ، شريطة ان تعدنا بالصمت الدائم .. الا اذا طلبنا منها ، نحن ، الكلام !..

حتى الآن ، نحسب اننا — رغم السيئات التي ذكرناها اعلاه — يمكن ان نكون مقبولين ! والحقيقة اننا لم نشأ اثارة نفوركم منذ البداية .. لذلك تعمدنا اغفال ذكر أي شيء عن خلقنا واخلاقنا .. وهما النقطتان الاساسيتان في اية علاقة أو زواج ! وقد عمدنا الى هذا الاغفال لحكمة في نفسنا ، فقد وجدنا من الافضل ان نتدرج بكم من سيء لاسوأ ... لا العكس ، وبذلك يسهل عليكم قبول مساوئنا بالتدريج .

وقبل الحديث عن خلقنا ، لا بد من ذكر عمرنا ، للعلاقة الوثيقة بين الطرفين : ان عمرنا ، كما تقول الهوية ، ثلاثون ! ولكننا نبدو اكبر من ذلك بكثير ، لان المتاعب التي وقعت لنا خلال هذه الحياة ، جعلتنا نلوح وكأننا في الخمسين !.. وعلى حديث العمر .. فقد سمعنا ان بعض الشعوب تعتبر عمر الانسان ، بعدد الايام السعيدة التي عاشها ، وعلى هذا الاساس ، فنحن لم نولد بعد !..

هذا .. وبالاضافة لهرمنا المبكر ، فان هيئتنا لايمكن قبولها بحال من الاحوال . صحيح اننا لم نصل الى درجة تنطبق فيها علينا نظرية دارون في اصل الانسان.... ولكن الذي لاشك فيه ، اننا نموذج صالح لترجيح رأي دارون !.. حتى اننا كثيرا ما نشعر بالخجل من نفسنا عندما ننظر الى شكلنا في المرآة !! فلنا أذنان طويلتان والغريب ان احداهما تتحرك ، دون سبب ، باستمرار !..

بالاضافة الى هذا فقد ابتلانا الله بقصر القامة ، وبسمنة غير مألوفة .. فأصبحنا لا يعرف لنا طول من عرض . ولنا كرش اصبح مضرب الامثال ! ولكن هذا لا يعني اننا لا نستطيع الحراك او المشي .. فنحن ، الى جانب كل ما ذكرناه ، نستطيع عند اللزوم ، ان نتحرك بخفة القطط او الكلاب ! ..

ولكن هذه القضية لا يجب ان تكون ذات اهمية كبرى بالنسبة للزواج ، لان حضارتنا العظيمة ، اتاحت لنا بتقدمها الرائع ، معالجة كافة العيوب . فقد ترددنا على خبير شهير من خبراء التجميل ، فأنبأنا بأننا نحتاج الى عملية تجميل .. نغدو بعدها اكثر جاذبية من مارلون براندو او تيرون باور !.. وعلى افتراض ان هذا لن يتم ، فان حرمنا المصون ، يمكنها ان تتعود على هيئتنا بشيء من الصبر والاحتمال .

ولكن الله الذي ابتلانا بكل ما ذكرناه ، اعطانا قدرة عجيبة على التهريج والاضحاك . حتى ان كثيرا من رفاقنا اشاروا علينا بهجر التدريس واحتراف الاضحاك .. قائلين بأننا سنبز ملوك الضحك في العالم !.. ولكننا قنعنا بعملنا الحالي ! لاننا لا نحب ان نقطع ارزاقهم ، فنزاحمهم .. وقديما قيل : قطع الاعناق ولا قطع الارزاق . لذلك نطمئن حرمنا ... بأننا سنجعلها في حالة ضحك دائم عند اللزوم .

هذا عن سوء خلقنا .. ولكن اخلاقنا أسوأ من ذلك بكثير !.. لان قانون التناقض ، هو الذي يتحكم في كل ما نقوم به من اعمال !

فالى جانب طبيعتنا المسالمة ، ومشاعر الرحمة .. فاننا نتميز بشراسة وحشية وقسوة بالغة !.. فاذا غضبنا .. فاننا نصل الى حد نفقد فيه شعورنا فلا نعي ما نفعل . وقد حدثت لنا حوادث كثيرة من هذا القبيل ! فنحن لا نجد مانعا ، مثلا ، من تحطيم اضلاع حرمنا او تكسير انفها في لحظة يثور فيها غضب شخصنا الكريم !

بالاضافة الى هاتين الصفتين : الشراسة والقسوة ، فاننا نشعر باحتقار عظيم للنساء ! ولكن هذا لا يمنع من اننا سنعمد الى تدليل حرمنا .. باعتبارها من الجنس اللطيف .

ولكننا في الحقيقة ، نشعر نحو النساء بالرثاء العميق ! لاننا لا نتصور كيف يمكن لامرأة ان تقبل الزواج !..وانه لفضل عظيم من الله ان خلقنا رجلا وليس امرأة .. لان الرجل يستطيع ان يتصرف بحرية ، في حين ان المرأة مرغمة على القبول !..

ولنا فوق ماذكرناه ، اطوار غريبة شاذة .. من بينها اننا نحب ان نضرب حرمنا بين حين وحين ! .. لا لشيء ، الا على سبيل التسلية !

اما ثالثة الاثافي كما يقال ، فهي كسلنا الذي خلقنا الله عليه ! فنحن نؤمن بالحكمة القائلة : العمل ضد الطبيعة — وهذا مهم الى ابعد الحدود ! لانه على اكتاف حرمنا سيقع العمل في البيت .

نكتفي الآن بما رسمناه عن شخصنا .. وعن الشروط والمواصفات التي نرغب ان تتوفر في حرمنا المقبلة المصون . فمن وجدت لديها الاستعداد الكافي لتحمل هذه المصائب .. نرجو ان تتقدم الينا بطلب عاجل وسريع بهذا الموضوع !..

* * *

سوف نتوقف منذ الآن عن كتابة هذه العروض — فاذا حدثت الكارثة ، وتزوجنا .. فاننا سنكتب لكم فيما بعد عن حياتنا العائلية مع حرمنا المصون .. والا فاننا سنعيد النظر فيما كتبناه حتى الآن من عروض .

لقد كتبنا كثيرا من عروض الحال ، ولا نعلم مصيرها حتى اليوم ! لذلك سنعمد الى ملاحقتها قريبا . هذا وقد عثرنا على شخصية عجيبة .. باستطاعتها ان تقوم بهذا الدور ! ...

ان الشخص الذي وجدناه ، اسمه « عقلة بن جاسم الطيطاوي » الملقب بين الناس : أبو علي بطاطا — ومهنته : معقب معاملات .

وسوف نعود اليكم في المستقبل القريب ، بعنوان : « مغامرات معقب معاملات » ! وبانتظار ذلك الوقت ، تفضلوا بقبول اسمى مظاهر الاحتقار والتقدير .

الكاتب

ع—ع—ع— ٣ ع — ع٢

درعا — محمد حيدر

من « جمعية الادباء العرب »



مهداة الى الذي أحب دمشق ، فأكلت لياليها عينيه ، الى الاستاذ مدحة عكاش :



أنا يا دمشق هواك هواي ... وليس لقلبي سواك مراح
اذا ما احتواني بهدبك فيء ... بسطت جناحي ورف الجناح
تطوف برأسي نجوم المنى ... فتهمي النجوم بروح وراح
تهدهدني مغريات الرؤى ... على مائج من رواء الصباح
وتحلو لعيني فجاج الدنا ... فتندى فجاج وتنضر ساح
ويخطر حولي المطاف الجميل ... فيدنو المطاف بثغر الملاح
فاشرب كالرمل ما ارتوي ... وقلبي لهيف وفيه التياح
وليس عذول على عالمي ... وليس رقيب وليس جناح
فمالي اذا ما أتيت دمشق ... شعرت وجودي وضج الطماح
ومالي اغرد ما انتهي ... فيطرب عود وتهذي بطاح
وما لي أرف على صدرها ... ولي كالنسور الرحاب الفساح
دمشق اتيتك فيما مضى ... فعدت وملء فؤادي جراح
أتنمو الاصول ولا قطرة ... ويشدو الفؤاد ولا من سماح
اعود فلا واغل حولنا ... ولا من يجوس ولا من وقاح
فاني وقفت واني نظرت ... رأيت الاباء ومجد السلاح





احبها في قامة الزنبق
احبها في شفق مذهب
أحبها في أمل باسم
في كرمة يحلم عنقودها
في رفة تطلقها نضرة
لا يسأل المشتاق عن عطره
ولا يموت الشوق في قلبه
ما ضمه حلم على مرفق
ويرقص النجم ولا نجمة
ولم يطف في مورق غفوة

في حلك يغرق في مفرق
يعده المغرب للمشرق
مر به الحلم على مخفق
بالشرب بالحانة بالدورق
مرت من الزونة في مفندق
في قلبه دنيا من الزنبق
حتى يموت الزهو في المونق
الا تراءى الحلم للمرفق
لم تطلق الشهقة في المطلق
لولا أماسينا على المورق

حنا الطيار

القصة العربيه

انواعها ، اهدافها ، اثرها في النزعة العربية

بقلم : عزة بشور

القصة هي مجموعة من الحوادث يرويها الكاتب ، من ابداع الخيال ، او من تصوير الواقع . والناس متساوون في الارتياح الى سماعها ، لانها تستطيع ان تقوم مقام جميع الفنون الادبية ، وان تستوعب مختلف اساليبها . ولا يفرض في الكاتب ان يروي حوادث وقعت فعلا ، بل يفرض فيه ان يروي حوادث يمكن وقوع مثلها .

وللقصة اليوم المكانة الاولى في الادب الحديث ، لانها قد بدأت تثبت وجودها ، ولان الجمهور قد بدأ يطلبها ويتذوقها .

ان ادب القصة لأدب شامل ، يكاد يطمس كل لون من الالوان الادبية ، ويكاد يكون كل شيء في آداب الامم . رافقت القصة البشر من المهد وسوف تماشيهم الى اللحد.

وان مفهوم القصة اليوم ، هو غير مفهومها بالامس . لقد اصبحت تعبر عن تاريخ جديد للانسان ، يختلف كل الاختلاف عن تاريخ الانسان في العصور القديمة والوسطى وهي كانت دائما ذات اتصالات بالشعوب والحضارات المختلفة .

والقصة في الادب العربي ، كالقصة في الآداب العالمية، تطورت تطورا اصبحت فيه قوام الادب الحديث وملاكه وامست تهدف الى تطوير الواقع للاستفادة من تبيان الاحوال الاجتماعية في سبيل تقوية دعائم الفضيلة والاخلاق . وكلما صورت القصة الواقع ، كلما اقتربت من الكمال الفني .

والروائي اليوم ، اللهم الروائي الاصيل ، تتلاقى اصداء مجتمعة بأصداء نفسه . عدته موهبة اصيلة ، ونظرة نافذة الى الاعماق ، وحس مرهف ، وعمل .

ينفي البعض وجود القصة في الادب العربي القديم ، ويتهم البعض الآخر التاريخ الادبي العربي بالجدب في باب القصص ، ولكن هذا النفي لا يقوم على برهان صحيح صادق ، وهو كلام مطلق لايسنده العلم ولا يؤيده التاريخ. وذاك الاتهام كذلك ينفيه واقع الحال .

ان القصة العربية وجدت من قديم الزمان ، وتطورت مع تطور الآداب العربية . والقصص العربية التي ترجمت الى اللغات الاوروبية كانت ذخيرة للآداب الجديدة لتلك اللغات ، وكانت باعثة لنشوء الروايات الرومنطيقية . واشهر تلك القصص ، قصة « الف ليلة وليلة » التي قلدها كتاب الغرب في قصصهم ، والتي نالت شهرتها العالمية المستفيضة لما لاقته من عناية الباحثين . ولا تقل عنهما اهمية قصة « عنترة » التي تجمع عناصر الملحمة الانسانية . وكذلك قصة « سيف بن ذي يزن » التي هي مصدر هام لتاريخ الاسلام .

ولقد انتشرت القصة العربية انتشارا سريعا منذ عرف الشرق الطباعة والصحافة . فصحف ومجلات كثيرة اهتمت بالقصة ، وافردت لها بابا ، واختصتها بجزء من كل عدد . وفي طليعة تلك المجلات كانت مجلة الجنان التي نشر فيها سليم البستاني ، كل قصصه واقاصيصه

وهكذا ساعدت الصحافة على نشر القصة بين جمهور قراء العربية .

كذلك الطباعة العربية كانت عنصرا هاما من عناصر انتشار القصة في البلاد العربية . وأولى تلك المطابع كانت مطبعة « الشوير » التي أنشأها عبد الله زاخر عام الف وسبعمائة واثنين وعشرين .

وبعد ان انتشرت القصة انتشارها السريع ، تعددت انواعها ، فكانت القصة الاجتماعية ، والقصة التاريخية ، والقصة الدستورية ، والاقصوصة .

والقصة الاجتماعية تهدف الى محاربة المفاسد الاجتماعية الناشئة عن تطرف الناس وتمسكهم بقشور الحياة ، والى القضاء على هذه المفاسد ، وتطالب الاغنياء بحقوق الفقراء ، وكذلك تهدف الى مناصرة المراة والمطالبة بحقوقها .

واما القصة التاريخية ، فكان باعثها ما وصلت اليه البلاد العربية من الضعف ، وما عانت من الاستبداد والظلم . فاتجهت اقلام الكتاب الى استثارة الهمم لمحاربة الطغيان والاستبداد . وقد دونوا في قصصهم التاريخية كثيرا من اخبار العرب ، التي تبرز مكارمهم ، ونوادرهم في الحلم والوفاء ، والشجاعة والسخاء . وفي طليعة كتاب القصة التاريخية كان المرحوم جرجي زيدان .

واما القصة الدستورية ، فقد ظهرت بعد اعلان الدستور العثماني وبعد الدعوة الى انتخاب نواب الامة ، وبعد اسقاط الحكم الحميدي . وأولى المحاولات في تأليف القصة الدستورية ، كانت محاولة « لبيبة صوايا » في قصتها « حسناء سالونيك » .

واما الاقصوصة ، واهم مقوماتها ، الحادثة الواحدة التي تدور حولها اعمال الاشخاص ، فأول من حاول تأليفها وفقا لاصولها الفنية الحديثة هو المرحوم جبران خليل جبران .

المت المامة وجيزة جدا بمفهوم القصة وأنواعها ، وأخيرا اختم هذه الكلمة بالحديث عن اهدافها واثرها في النزعة القومية بصورة اوجز .

لا بد لكل قصة من اهداف ترمي اليها ، ومن اهدافها : تبيان الاحوال الاجتماعية لتنمي دعائم المجتمع على أسس قوية من الفضيلة والاخلاق والمثل الكريمة العليا . وان القصة التي تمثل الواقع ، وتصور بعض الاحوال التي تنافي المثل الكريمة العليا ، توقظ في النفس الفكرة التوجيهية بفضل التنبيه الى الغفلة التي تعتري الانسان في بعض الاحيان ، وتحث على الاصلاح للوصول الى القصد النبيل .

ولقد شاركت القصة ، بمختلف انواعها في التعبير عن هذه النزعة . والعربي في كل قطر من الاقطار العربية يجد في التاريخ القديم ، ما يعزز به نزعته القومية لخلق عالم افضل .

واخيرا ، القصة الحديثة تكاد تكون هدف كل كاتب . وما دامت هدف كتابنا ، فعليهم ان يجعلوا اسلوبها صحيحا وقريبا من التعابير المألوفة في الحياة ، وان يلبسوها ثوبا زاهيا من اثواب الفصاحة والبلاغة غير مسرفين في الخيال ، وغير متمسكين بالاساليب اللغوية العتيقة ، لان ضرورات التعبير تتغير بتغير الازمان .

صافيتا : عزة بشور

* * *

قلق

رويدك انني الف … مع الاحباب أ أتلف
وما بيني وبينك من … شعور ليس يختلف
وقلبي قد وعى ما في … فؤادك من هوى يجف
قرأت سطوره الغرقى … بأنفاس بها لهف
وطرف شاخص فاذا … انتبهت اليه ينحرف
ونطق راح يسبقه … الى ألفاظه شغف
وقول ما له معنى … يراد ولا له هدف
سوى اشعار سامعه … بعون جنبه يقف
ألا يا دميتي الحيرى … وحقك أنني كلف
ولكن مثلما تخشيـ … ـن يا فريال ارتجف
ولا أقوى على قول … به يا أخت أعترف
فلا تخشين من صمتي … فاني فيه اعتكف
لأعبد طلعة كالبد … ر لكن ليس ينكسف
وارعى دمية فيها … جمال فوق ما وصفوا
قوام ما به سرف … ووجه ما به كلف
وصدر للمنى كنف … وطرف ما به صلف
وثغر مثل ورد الطيـ … ـر بالقبلات يرتشف
وشعر مرسل الخصلا … ت فوق العين ينعقف
وقد مثل غصن البا … ن لكن ليس ينقصف
وخصر كلما مرت … به الانسام ينعطف
ونهد نحبس الانفا … س قسرا حين ينكشف
وروح تبعث الايما … ن فيمن عنه منصرف
وحسن ما له سلف … حكاه ولا له خلف
نعيم كله أمل … ودون نواله سجف
وروض كله زهر … ولكن ليس يقتطف

فهل يوما بجوف الليـ … ـل بي فريال تلتحف
تعالي ان أشهى الرز … ق ما بالسر يختطف
تعالي ليس بعد الوصـ … ـل مهما أرجفوا ترف
فلا من قبله أنف … ولا من بعده أسف
وما بقساوة الاعرا … ض هذا اللطف يتصف

حماة ـ عبد الغني العلواني

الصحافة واثرها في التوجيه

« نص الحديث الذي القاه السيد نجيب رويحة في ندوة المركز الثقافي في اللاذقية بتاريخ ٥٩/٨/١٨ »

الصحافة . . .

هذه الاداة التي يعتمدها عالمنا الحديث اليوم ... كأجدى وسيلة للدعوة والتوجيه ، وكسب الراي العام العالمي ، للفكرة التي يدعو اليها ، او العقيدة التي اعتنقها ...

الصحافة . . .

هذا السلاح القاطع الماضي ، الذي اعتمدته شعوب العالم ، على ما بينها من تفاوت واختلاف في التمدن والعلم لحشد اكبر عدد ممكن من المؤيدين والانصار ، في معسكر العقيدة ، او المبدأ ، او الفكرة ، التي تدعو اليها ، وتعمل ناشطة لنشرها ، او للحد من انتشارها ...

صاحبة الجلالة ... الصحافة ... هذه ، كيف نشأت .. ؟

كيف تدرجت نحو الكمال ، او ما يقرب منه ، حتى بلغت ما بلغته من سعة وانتشار ، وحتى استأثرت باهتمام الراي العام العالمي ، فاصبحت او كادت ان تكون ضرورة من ضروريات كل داع الى فكرة ، أو عامل على نشر مباديء ، او ساع لكسب الانصار والمؤيدين ، في معركة من معارك الفكر ، او العقائد ، التي اصبحت اليوم ، محورا لكل ما يجري في العالم ، من خير او شر ...!

هذه الصحافة ايها السادة ، التي ترونها اليوم – وقد اكتملت الى حد بعيد – الوسائل التي جعلت منها علما مستقلا يدرس ، ويحظى باهتمام عدد لا يستهان به من اساتذة الفكر ، في عالمنا اليوم كانت في ابتدائها ، ساذجة تعتمد على وسائل ساذجة ، في التوجيه والدعوة ، منذ فجر التاريخ ، حين بدأ الانسان يعيش مجتمعا متعاونا ، في العائلة والعشيرة والقبيلة ، ثم الامارة والدولة ، وما الى ذلك قبل ان تكون الطباعة ...

ولعل من الطرافة ان نعود الى الماضي البعيد ، نستعرض وسائل الفكر البشري ، التي اتخذ منها اسبابا ووسائط ، للدعوة الى فكرة ، او للتوجيه نحو غاية ، او هدف ، ليكثر من معتنقيه وناشريه ولن اطيل عليكم ايها السادة ، فأعمد الى دراسة نشأة الصحافة ، ووسائلها في كل أمة من الامم ، خوف الاطالة او الملل ، وحسبي ان استعرض ذلك في أمتنا العربية منذ كانت تعيش عشائر وقبائل ، ولا اظن ان هناك كبير اختلاف ، أو تفاوت بين الوسائل التي اعتمدتها العرب يوم ذاك ، لتقوم مقام الصحافة التي نراها اليوم ، وبين مااعتمدته الامم والشعوب الاخرى ، من وسائل للغاية نفسها ...

فعندنا نحن العرب ، كان صحافينا الاول ، شاعر القبيلة ، وخطيبها ، وراويها ، وكانت مجالات نشر الفكرة او توجيه القبيلة نحو الغاية او الهدف ، الذي يتوخاه الشاعر أو الخطيب ، او الراوية ، مجتمع القبيلة اولا ، ثم الاسواق التي كانت تقام في بعض نواحي الجزيرة العربية كعكاظ ، والمربد ، أو مواسم الحج في مكة ، او المؤتمرات الشبيهة بمؤتمرات اليوم ، الى حد ما ، التي كانت تعقد في ندوة امير من الامراء ، أو عظيم من العظماء ، او سيد من السادات ، لحل مشكلة عارضة ، او التداول في حادث معترض او للتشاور في نهج لبلوغ غاية ، وادراك هدف ...

في هذه المجالات وما شابهها كان الشاعر او الخطيب أو الراوية ، يضمن ما يريد نشره ، او دعوة الناس وتوجيههم اليه ، ما يلقيه من قصيد ، او نثر او رواية ، قلوبهم ، حين يقرؤون خبرا من الاخبار ، او تعرض عليهم فكرة من الافكار ، او مبدأ من المباديء ، التي يجتهد اصحابها في دعوة الناس الى اعتناقها ، وتأييدها ...

وفي التاريخ العربي ، مايدعم زعمنا هذا ، وما يثبت ان بعض ابيات من الشعر ، قالها شاعر من شعراء العرب ، في مناسبة من المناسبات ، كان لها اثر كبير في الراي العام حينذاك ، أبعد بكثير مما يخلفه اليوم مقال ممتع في صحيفة منتشرة ، لكاتب نابه ، في غرض من الاغراض ، او هدف من الاهداف او غاية من الغايات التي

يدعو اليها ، ويحاول حشد اكبر عدد من الناس ، تحت لوائها ، وفي ركابها ..

بل ، لقد كان الجدل الصحفي ، او الردود الصحفية ، كما اصطلحنا على تسميتها في هذا العصر والتي تنشأ عادة بين قادة الفكر وزعماء الساسة واصحاب العقائد الاجتماعية المختلفة ، والتي نراها تملأ انهرا ، لا بل صفحات احيانا من صحف اليوم ، هذا محبذ وداع ، وذاك مستنكر ومناويء ... هذا الجدل الذي نراه اليوم بين الصحفيين ، يشبه الى حد بعيد ، ما كان يقع بين شعراء وخطباء ورواة الامس ... في تلك الاسواق ، او المجتمعات ، او المؤتمرات التي ذكرناها ...

ولعلكم ايها السادة ، تذكرون المؤتمر أو شبه المؤتمر الذي عقد في الجاهلية ، وفي ديوان الغسائي المشهور والذي وقف فيه شاعران من شعراء القبيلة التغلبية ، التي كانت تنقسم الى بطون ، ولكل بطن من تلك البطون شاعرها ، او قل ان شئت صحافيها الذي ينافح عنها ، ويدافع دونها ويدعو ابناء العشيرة من كافة البطون ، لاعتناق ما آمن به البطن الذي ينتمي اليه الشاعر ...

فلقد وقف في ذلك المؤتمر الشاعر الفحل « الحارث بن حلزة » يستعدي « عمر بن هند » على ابناء عمومته بقصيدة ضمنها الحجج والبينات ، على عدالة وحق عشيرته ، بينما وقف عمر بن كلثوم يرد عليه ويفند حججه مدافعا ومنافحا عن عشيرته ، فكسب ابن حلزة المعركة ضد خصمه ، وانتشرت قصائد الشاعرين في القبائل العربية ، يتناشدونها ويروونها ، تماما كما تنشر اليوم فقرات من مقال ممتع تحوي حججا دامغة لصحفي بارز في صحيفة من صحف اليوم ...

وامثال هذه الحادثة في التاريخ العربي ، أكثر من ان تحصى او تعد ، وحسبي ان أحيلكم ايها السادة على ما ورد في اخبار حروب الفجار ، وداحس ، والبسوس من مساجلات شعرية بين شعراء القبائل التي اشتركت في هذه الحروب ، والتي كان يهدف اصحابها ، الى توجيه الرأي العام الوجهة التي تكسبه التأييد وتدعمه وتدعم عشيرته فيما يهدف اليه ويريد بلوغه من ظفر...

وفي الصدر الاول للاسلام ، او قل ان شئت ، في اول العهد الاموي ، ظهر فن جديد من فنون الصحافة في المجتمع العربي ، وربما كان العامل الاول لظهوره نشوء الدولة ، وتطور الحياة الاجتماعية في دنيا العرب ، بعد تلك الفتوحات الباهرة التي تمت زمن الخلفاء الراشدين والتي اتمها فيما بعد خلفاؤهم العباقرة أمثال معاوية ، والوليد بن عبد الملك ، وغيرهما .. .

هذا الفن الجديد ايها السادة كان يعتمد الاسلوب القصصي ، ذلك لان الخصومة التي وقعت بين الهاشميين ، من علويين وعباسيين ، وبين الامويين ، الذين استأثروا بالخلافة ، كانت تستدعي وجود صحافة منظمة ومنتشرة ، اكثر مما كانت عليه يوم كان العرب يعيشون افخاذ وعشائر وقبائل محدودة الاغراض ، محدودة الغايات ، لا تستدعي تلك الاغراض والغايات الى اكثر من شاعر او خطيب او راوية ، يقف في مناسبة من تلك المناسبات التي ذكرناها ليدعو الناس الى تأييد عشيرته او قبيلته في غرض من الاغراض او غاية من الغايات التي هي في مصلحة تلك العشيرة او القبيلة ..

اما وان الحال قد تغير وتبدل ، بعد ان اصبح للعرب امبراطورية مترامية الاطراف ، ضمت الامبراطورية الفارسية في الشمال الشرقي من جزيرة العرب واكثر اجزاء الامبراطورية الرومانية في الجنوب الشرقي منها .

اما وان الخصومة قد اشتدت بين المتنازعين والطامحين للخلافة ، بعد نكبة العرب المسلمين ، بمقتل الخليفة عثمان ...

اما والحالة هذه ، فقد اصبحت الحاجة ملحة للداعين والدعاة ، لكافة الفرقاء المتخاصمين ، والحاجة كما يقولون ام الاختراع ... وهكذا اوجد الامويون لأول مرة الاسلوب القصصي ، ليكون لهم أداة كالصحافة اليوم ، للدفاع عنهم ، ومهاجمة اخصامهم ، ودعوة الناس الى تأييدهم ، وتوجيه الراي العام وجهتهم فكان القصاص يعينون برواتب واجور يتقاضونها شهريا ، تماما كما يتقاضى اليوم ، الصحافيون والكتاب رواتبهم من المؤسسات الصحفية التي يعملون بها ...

وكان القاص في العهد الاموي ، يقف على منبر عال بعد ان يفرغ الناس من صلاتهم ، بحيث يراه ويسمعه كل من حضر ، ثم يأخذ بسرد الحوادث والوقائع بالشكل الذي يضمن به جلب اكثر عدد ممكن من المستمعين الى معسكره ، متخذا في كثير من الاحيان تزوير الاحداث ، وتزييف الوقائع وسيلة الى بلوغ غرضه ، تماما كما يفعل اليوم بعض الصحفيين المأجورين ، او السائرين في ركاب المغرضين .

بقي علينا الآن ايها السادة ان ندرك مدى تأثير هذه الصحافة في توجيه الرأي العام وكسبه ولا اظن اننا

سنحتاج الى كبير جهد لبلوغ هذه الغاية ، ما دام التاريخ امامنا نتصفحه وندرس احداثه ونستنير بحوادثه ...

كلنا يعلم ان علي بن أبي طالب صهر النبي وابن عمه ، وربيبه ، واول من آمن به ، وهو بعد زعيم آل هاشم دوحة الشرف والمجد في قريش ، في الجاهلية والاسلام ، وصاحب المواقف المشهورة في التاريخ ، لنشر الاسلام والدفاع عنه ، صاحب الخلق الكريم ، الزاهد العالم ، الذي كاد يسمو بخلقه الى مصاف الاولياء والصديقين ..

هذا العظيم ، بكل ما في العظمة من معاني ... خسر المعركة ...!

مع من ... ؟؟

مع معاوية ... راس الاحزاب ، ومن الذين حاربوا النبي العربي ، واسرفوا في ايذائه ، وحاولوا اكثر من مرة اغتياله ، والبوا قريش عليه وهو بعد من الطلقاء ، الذين لم يسلموا ، ولم يدخلوا الاسلام ، الا في السنة الثامنة للهجرة ، يوم دخل « محمد » مكة برهطه الكريم من المؤمنين الصادقين الصابرين ، فكان وآله — أي معاوية — من المتأخرين بالاعتزاز بعزة الاسلام ، في زمن كان فيه للمتقدمين الاولين من الانصار والمهاجرين الذين اسلموا و « محمد » قليل الانصار ، يكابد الاهوال من اضطهاد قريش وظلمها له ، ولكل من آمن به ...

« معاوية » هذا ، استطاع ان يكسب المعركة ، ضد « علي » ، والناس ما زالوا قريبي عهد بنبيهم ، ونفوسهم مفعمة بحب آله وصحبه ...

صحيح ان اسبابا كثيرة مهدت لمعاوية هذا النصر ، ليس من موضوعنا ولا من غرضنا بسطها في هذه المناسبة ولكن من الثابت الاكيد ، ان دعاة الامويين ، من شعراء وخطباء ورواة وقصاص ، وهم بمجموعهم كانوا يوم ذاك ، يعدون الصحفيين الذين يدعون الناس ويوجهونهم الى ما يريدون ، والى الوجه الذي يبتغون ...

نقول ، لا شك ان لهؤلاء اكبر فضل واعظم اثر ، وابعد تأثير في الراي العام العربي ، في شتى الامبراطورية العربية يوم ذاك ، بما بذلوه من جهد في التوجيه واجتهاد في الدعوة ، وجلد في نشر ما يأخذ بألباب السواد من الناس ، بفضائل معاوية ، كرجل دولة ، يقابل ذلك نشر مثالب الامام علي التي زعموها وزيفوها ، والتي استطاعوا ان يزوروا على الناس تزويرا محكما منمقا ، تماما كما يفعل بعض صحفيي اليوم ، من قلب الحقائق ، وتزوير الوقائع وتزييف الحوادث ، لصالح ما يدعون ولمن يدعون ...

ولقد ظلت الصحافة مقتصرة على هذه الاساليب البدائية الساذجة ، لا تتعداها ، حتى ظهور الاحرف والطباعة ، فتطورت مع هذا الحدث الهام ، واتخذت طريق النشرات بأبسط انواعها ومظاهرها وفي نواح محدودة م العالم ، حتى اذا ما ظهرت آثار تلك النشرات على بساطتها وسذاجتها ، في توجيه الراي العام واكتسابه ، استأثرت باهتمام من يعنيهم الامر ، من اصحاب المبادىء الاجتماعية ، فأجهدوا انفسهم لتطويرها تطويرا يستطيعون معه نشر ما يريدون ، ودعوة الناس الى اعتقاد ما يعتقدون ، بشكل اتم واوفى ، وبجهد اهون وأيسر ، وهكذا اخذوا انفسهم بالاهتمام بهذا الاسلوب الجديد من وسائل الدعاية والتوجيه ، فما انفكوا يتدرجون في تطويره نحو الكمال ، حتى بلغت ما بلغته اليوم ، من سعة انتشار وتنظيم ، واسلوب ، وما الى ذلك من المزايا التي ما زالت تتطور ، وتتقدم نحو الكمال يوما فيوم ...

وليس ببعيد عن الاذهان ، ما كان لهذه الصحافة الحديثة المتطورة من اثر فعال ، في معارك التحرر والانطلاق ، وتوجيه الراي العام ، الوجهة الصحيحة السليمة ...

ففي معركة القناة ، لعبت الصحافة دورا كبيرا حكيما في الحث والدعوة والتوجيه ، جنبا الى جنب زميلتها — صحافة الهواء — وقادة الساسة والسلاح ، فكانت بحق احد قواد هذه المعركة ، الذين حققوا النصر ، ورفعوا الراية وردوا الغازي ، ودحروا الدخيل وقهروا المستبيح والبوا الراي العام العالمي ، فارتفعت صيحات الاستنكار والاستهجان ، من كل حدب وصوب ، ومن كل بقعة من بقاع الارض ، فخسر العدو بذلك معركتين ... معركة

سحر ..!!

سحر ... كرمى لعيني سحر ... ولأتراب الصبا ، والصغر

علقت عيني نبي ، شاعر ... كوخه في طلة المنحدر

كان بالامس ملاكا بشرا ... ثم صار اليوم فوق البشر

وله أرجوحة مشدودة ... بالدراري .. بالضحى .. بالقمر

ويقولون : بنى خيمته ... من جبال اللهب المستعر

وله بيت عروس ، هادىء ... وادع خلف حدود النظر

مستحم بالضحى ، طاف به ... كل نيسان ندي ، عطر

وصبايا الجن يطفرن به ... سطحه في أمسيات السمر

غنة الارغن فيه ، وبه ... بحة الناي ، وبوح المزهر

انه يبحث عن ملهمة ... عن نشيد ضائع ، عن وتر

يملأ الليل حنينا لائعا ... زارعاً بالشوق قلب الحجر

* * *

تعب الدرب الذي أسلكه ... طمعاً بالموعد المنتظر ! !

أسمر الطلعة ، واشوقي الى ... قبلة فوق الجبين الاسمر

دب يسري في دمي ، في جسـ ... ـدي سحر عينيه دبيب الحذر

فتعالين نزره مرة ... واضياع العمر ان لم نزر ! !

واسبقي الشمس وطيري نحوه ... سبقتنا الشمس ان لم نطر ! !

واطرقي الباب ، فان طل ولم ... يتبسم ... فابسمي ، واعتذري

نافذ العين ، يرى ما لا نرى ... فاحذري عينيه ،.. أو لا تحذري

يتلهى الشعر فينا ، والهوى ... فكأنا الهيبات القدر

خطر الشاعر ، والشعر على ... قاصرات الطرف فوق الخطر

حامد حسن

السلاح ، ومعركة الرأي العام العالمي ، الذي ثار واستنكر التدخل والغزو ...

وهاهي اليوم ايضا جنبا الى جنب زميلتها ــ صحافة الهواء ــ وقادة الساسة ، واساتذة الفكر الحر ، يخوضون معارك الدعوة والتوجيه ، للثورة والتحرر والخلاص ، في عمان والمحميات ، في الجزائر والعراق ، لاسترجاع الحق المغتصب السليب ، وفي اللواء ومهد عيسى ...

خلاصة القول ، ان الصحافة وسيلة ناجعة من وسائل الدعوة والتوجيه ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ...!

نجيب رويحة

رفيقي سعيد

بقلم : حسن حمام

كنا في صف واحد ، وكنا نجلس على مقعدين متجاورين، هو — ولا ازال اذكر — في المقعد الامامي وانا وراءه . فقد كان اقصر مني قامة . وربما كنت انا اكبر منه سنا . لم يكن تلميذا ذكيا بمعنى الذكاء الذي افهمه واعرفه ، اذكنت اقيسه على نفسي فيبدو من وجهة نظري اقل ذكاء مني وقد كنت ارى نفسي انني المثال النموذجي للذكاء ، الا انه كان مجدا مديما للدرس والمطالعة ان في البيت او في المدرسة .

كان هادىء الطبع متزن الحركة ، وكنت انا اكثر نشاطا وحركة منه ، فكان عندما يلقي المعلم علينا سؤالا كنت انا لا اكتفي برفع اصبعي ، بل امد يدي ايضا ، وكثيرا ما كنت أعزز رفع يدي بأن أهب واقفا اريد ان اجيب على سؤال المعلم . اما هو فكان يرفع اصبعه متكئا بكوعه على قمطره ، واحيانا كان يتردد في رفع اصبعه ، وهذا ما جعلني مع عوامل اخرى احكم عليه في اول الامر بأنه متوسط الذكاء وانه اقل ذكاء مني . ولكن — والحق يقال — قد تبين لي فيما بعد ان ذلك لا يرجع الى جهله وقلة فهمه او ضعف ذكائه . ولكنه يعود الى حياء طبعه الذي اكتشفته فيه بعدما تعارفنا واختلطنا اختلاط التلميذ الصغير برفيقه .

ترافقنا ثلاث سنوات في مدرستنا الابتدائية هذه نترفع من صف الى صف آخر وكنا خلالها نجري في حلبة الدرس نتعاور درجات التقدم ، فأحيانا اكون انا السابق وهو اللاحق واحيانا يكون هو المجلي وانا المصلي . وكانت المنافسة تشتد حينا وتضعف احيانا ، ومع كل ذلك لم تتوطد بيني وبينه صداقة قوية . مشينا سوية مرات كثيرة وقمنا برحلات ونزهات مرات عدة ولكنها كانت كالشفق الاحمر لا يدوم في الافق الا حينا ثم يزول كذلك كانت تلك الرحلات والنزهات لا تترك اثرا ولا تغرس حبا في نفسينا ولا تنمي صداقة ، فما ان ينفض الواحد منا يده من يد رفيقه حتى يعود وكأنه لا يعرف الآخر الا بالامس فلا يشعر بالحاجة الى صداقة رفيقه او يحس بالرغبة في النزهة او اللعب معه .

كان فقيرا مثلي ومثل اكثر تلاميذ مدرستنا ، وكنت الاحظ عليه عندما كان يطلب منا المعلم بصورة اجماعية ان ندفع قرشا للصندوق التعاوني ويلح في الطلب انه كان ينكس رأسه ويطرق بعينيه الى الارض ، ثم بعد ان نتأخر في الدفع ويأخذ المعلم في الطلب من كل منا على حدة ، كانت تغرورق عيناه بالدموع وينهض واقفا وهو مطرق الراس ليداري دموعا تتساقط على خديه ، وعندئذ كان يقول له المعلم : اجلس انت يا سعيد !

بقينا كذلك نترفع سوية من صف الى آخر حتى وقع الحادث الذي زعزع كياني وغير مجرى حياتي وانا بعد لا أزال طفلا يافعا ..

توفى والدي في مطلع السنة الدرسية وانا لا ازال في صف الشهادة الابتدائية . فاضطرت والدتي الى اخراجي من المدرسة حتى اشارك في اعالة الاسرة المؤلفة من والدتي واختين لي صغيرتين ، ان عمي المتوسط الحال رفض ان يضمنا اليه واكتفى بأن يساهم في اعاشتنا بجزء قليل من المال لا يسمن ولا يغني من جوع . واصبحت عائلتي هذه تعتمد في امر معاشها على اشياء ثلاثة : ما يقدمه عمي لنا من مال قليل كل شهر وما تربحه امي من شغل الحصر وبيعها ، والاجر الذي احصل عليه انا من بائع الحلوى الذي وضعتني أمي عنده .

وبقيت على هذه الحال سنين طويلة لم استطع ان اتحرر فيها من ربقة الفقر وبالتالي من ربقة (معلمي) الذي وضعتني والدتي عنده حتى تصبح بيدي الصنعة التي هي امان من الفقر كما يقولون . فبقيت اجيرا عنده اتقاضى اجرا لا يوفر لي الا الكفاف من العيش انا وأسرتي الفقيرة ، ولا يترك لي فضلا اتجمل به او ارفه به عن نفسي المكدودة وروحي الساغبة ، كنت أعيش حياة (حمارية) تتمثل في العمل المضني والمأكل الدني واللبس الذري .

وفي ذات يوم فتحت لي والدتي بابا واخذت تزين لي ولوجه وتدعوني لأن اقتصد ولو قليلا من المال حتى يكون لي جوازا لولوج هذا الباب ، واخذت تلمح لي بأنني قد

بلغت سنا لا يصح فيه البقاء بعيدا عن المراة او التفافل عن الزواج وتأسيس أسرة جديدة رغم صعوبة العيش وقساوة الحياة . كانت تقول عندما أبين لها قلة المال وسوء الحال : الله كريم ، وعيش اثنين يكفي ثلاثة وعيش ثلاثة يكفي اربعة ، ولعل الله يهبك من لدنه رزقا .

وكان ما ارادت بعد ان تحررت من قيد (معلمي) واشتريت لنفسي عربة ادفعها بيدي ابيع عليها السكاكر والحلوى للاطفال ، اقف بها في اكثر الايام امام ابواب المدارس اتعرض بسلعتي الرخيصة للتلاميذ ، وفي ايام الجمع والاعياد اطوف في الشوارع والازقة والحارات اتعرض لاطفالها ، وانا خلال كل ذلك ما زلت اعيش العيشة الاولى انا ومن تحملت مسؤولية اعالته فيما بعد من زوج وولد .

مرت جميع هذه الخواطر والصور امامي كشريط سينمائي سريع العرض عندما وقفت بعربتي امام دارة رفيقي سعيد أنادي على سلعتي وقد التف من حولي بضعة اطفال يتطلعون الى ما معي بشره الطفل الى الحلوى .

ولم اكن ادري ان هنا يقوم منزل رفيقي القديم الا عندما ابصرته جالسا على طنف دارته وبيده كتاب يقرأ فيه ، وقد خرج اطفاله على صوتي يحيطون بي ويتطلعون بنهم الى ما معي ، وقد صاح احدهم : بابا ... اعطني فرنكا ...

الا ان رفيقي اصم أذنيه عن نداء ابنه ولم يبال به ، ثم صاح ابنه الثاني : بابا ... اعطني فرنكا ... وهنا صاح بأولاده ينهرهم ويدعوهم للدخول الى الحديقة ليلعبوا فيها .

فانسحب الاطفال من امامي كما ينسحب جنود تلقوا امرا بالتراجع بعد معركة خسروها . فرحت اتبعهم بناظري حتى غابوا عني داخل الحديقة . ولا ادري لماذا أثرت في هذه الحادثة أثرا سوف لا تمحوه السنون رغم انها كما بدت لي فيما بعد وكما اخذت اظهرها لنفسي وأفسرها تفسيراتي الخاصة ، ليست مؤلمة وليس فيها اهانة مباشرة كما بدت لي لاول مرة ، الا انني في الواقع شعرت اثناءها بأن سهما أصابني في الصميم .

وقفت ساهما واجما أردد عباراته التي نهر بها اطفاله دون ان اتلفظ بها فقد كان قلبي وكل جارحة في ترددها .

وقفت متكئا على صدر عربتي شارد البصر تائه اللب لا التفت الى أيدي الاطفال التي اخذت تعبث بقطع الحلوى فقد كنت بعيدا عن عالمي هذا كله .

وتسارعت الصور والخواطر في مجال الذهن فكان بعضها يبدو شبحا اغبر متداخل المعالم وبعضها يبدو واضحا جليا ، اما الصورة البارزة التي احاطتها الانوار والاضواء فهي صورتي انا ورفيقي سعيد ، صورتي انا بهيئتي الذرية وعربتي الحقيرة وسلعتي التافهة و(زبائني) الاطفال وتجوالي في الشوارع والازقة طوال النهار ، ثم صورة رفيقي سعيد ببيته الانيق وحديقته الفناء وهو يرفل بالغضارة والنضارة والنعيم بين الخدم والحشم

قد يبدو لمن يقرأ قصتي ان حسدا عارما ملتهبا شب في نفسي وأن بغضا طاميا ثارت امواجه في قلبي ، وان الانانية قد انتفضت في اعماقي فوقعت تحت سيطرة هذه العوامل جميعها ، وانها تحكمت بي وبمشاعري واحاسيسي . كلا ... شهد الله ، ولكن كل ما استطيع ان اقوله عن تلك الحالة التي مرت بي — انني لا ادري — .

ذلك لانني كنت اعرفه واعرف ما آل اليه من نعمة ، واعرف انه اصبح في منصب ذي شأن منذ سنين عدة ، فلم يقم في نفسي شعور حسد او بغض . بل قرت بما صار اليه نفسي لانني شعرت بان رفيقا قديما لي فقيرا مثلي قد اصبح مرموقا في بلده وذا منصب رفيع .

وهو ايضا يعرفني لا شك في ذلك ، وان كانت الاحداث والسنون قد قطعت ما بيننا ، ومضى علي زمن طويل زمن الفتوة والشباب ولم اره ولم يرني فيه . الا انني اذكر مرة منذ بضعة اشهر كنت اسير وحيدا فتقابلنا وجها لوجه في الطريق والتقى نظرانا وانتظر كل واحد منا ان يبادره الآخر بالتحية ، الا انني لم افعل ، اما هو فسلم علي بصوت منخفض مجمجم وقد تجاهلت هذا السلام واطرقت برأسي وسرت ، وادعيت بيني وبين نفسي — التي اخذت تستفسر مني وتقرعني عما فعلت — بأن جمجمته لم تكن سلاما وانني لم اسمعه او افهمه ، ولا ادري لماذا بدر مني مابدر رغم اعتقادي بأنني لو رددت السلام بمثله او بأحسن منه كان اولى ، ولكان انفتح ما اغلقته اذا بعملي هذا .

ولا أدي كذلك لم أطلت الوقوف مستندا بمرفقي الى صدر عربتي رغم ان اكثر الاطفال انفضوا من حولي ، ولماذا

الى سمراء

ذوب الشعاع البكر في خطونا
اغلى .. واغلى هذه السمرة ...
لا تسألي الدرب متى ينتهي ؟
وأين يمتص الدجى بدره ؟ ..
ولا تجيلي الطرف ... دنيا غد
مثل غد ، باردة قفره .
لم ترعش اللحظة اشراقة
فيها ... ولم تفتن بها حيره ...
ولم يمد الموت منها يدا
ولم يعانق سحرها سحره ..

* * *

على يمين الدرب ريحانة
لاقى بها سرب الندى قبره
وفي عنان الأفق .. في المنتهى
... قبرة تحكي لنا سره
شقت فؤاد الغيب عن صمته
حتى تناهى نبرة نبرة

* * *

ما أروع المجهول في صحوننا
والموت لا آه ولا حسره
تعطر الدرب أحاديثنا
بكل ما نهوى وما نكره
كأنها حب الندى حولنا
نقطفها ريانة نضره
في ضحك رف الفراش ارتمى
من زهرة ولهى الى زهره
لا ع لاتجيلي الطرف .. دنيا غد
مثل غد ، باردة قفره .

محمد جنيدي

توغلت في اغوار الماضي ابحث في طواياه وغياهبه عن هنات كانت لرفيقي سعيد رحت ابعثها من جديد ، فكانت تبدو لناظري صفراء باهتة عجفاء شاحبة امام هذا الحاضر المتألق المشرق ، كنت اغوص في لجة الماضي حتى القاع لاخرج منه الحوادث والصور الماضية لعل منها ما يشبع رغبة غامضة في نفسي ، الا ان يداي كانت تصطدمان بأعشاب كثيرة ثم لا تلبثان ان تقعا على المحار التي تخبيء في طياتها اللآليء البيضاء اللامعة .

شعرت أن عيني رفيقي تنظران الي نظرة استغراب واستفهام ، ان الاطفال قد انفضوا من حولك فالى متى الوقوف ..؟ سر في طريقك .. انه يطردني .. آه .. وكدت أقضم اصبعي من فرط الالم . لماذا لم أسر قبل ان يطردني .. ؟

واتكأت على عربتي ادفعها امامي وانا أنادي على سلعتي .

اللاذقية ـ حسن حمام

الميزات العامة لغزلنا المعاصر

بقلم : سلمى الخضرا الجيوسي

اذا جاز لنا أن نحكم تاريخيا على هذه الحقبة التي نحياها فقد نميل الى التقرير بأننا نعيش في عصر اختلطت مفاهيمه اختلاطا شديدا وتوزعت فيه الميول والآراء كما لم يحدث في تاريخنا من قبل حتى اننا نكاد نعجز عن متابعتها واستقرائها جميعها لكثرتها وتضاربها . ولهذه الاختلافات الشاسعة في الآراء والمفاهيم والنظرة نحو الحياة يرجع هذا التلون الشديد والتضارب المشتت في معاني شعرنا ، ليس فقط بين أبوابه المختلفة بل في نطاق الباب الواحد ايضا . ولعلنا نجد هذا التضارب على أشده في معالجة الشعراء المختلفين للدين وللحب ـ هذين الموضوعين الكيانيين اللذين كانا دائما من الصق المواضيع بالانسان ومشاعره في كل عصوره .

ولنركز اهتمامنا على الغزل هذا المساء :

١ ـ لعل الميزة الاولى لغزلنا المعاصر هي كثرة مذاهبه .

انه ليس من السهل ابدا ان نحصر ضروب الغزل التي تطالعنا في شعرنا المعاصر ـ وليس من السهل ان نقسمها تحت مدارس الشعر المختلفة ـ بل ان محاولة مثل هذه ، مهما جربنا ان نتحكم بها ، لا تفتأ تخذلنا وتتهرب من بين ايدينا ـ وليس من السهل كذلك ان نقرر ان غزل الشاعر الواحد ذو صبغة واحدة دائما ـ فان عددا كبيرا من شعرائنا ينظمون ضروبا مختلفة من الغزل خلال حياتهم واحيانا خلال نفس الفترة من حياتهم .

ولعل هذه الكثرة وهذه البلبلة في مذاهب الغزل المعاصر تعود الى ارتباط الغزل مباشرة بالتيارات الاجتماعية والثقافية المتباينة التي تتحكم في مجتمعنا بدرجات متفاوتة ، شديدة التفاوت والتي عددت البيئات عندنا وشتت وحدة النظر الكيانية نحو الحياة بين افراد المجتمع الواحد ، مهما كان صغيرا . فالنظرة للحب والمرأة قد تختلف حتى بين افراد البيئة الواحدة بالنسبة لتطورهم الاجتماعي وثقافتهم .

ونحن لو راجعنا تاريخ الغزل في الشعر العربي وفي الشعر الاوربي لوجدنا ارتباطه المباشر بالمجتمع والحياة يمنحه صبغة معينة في كل طور من اطواره التاريخية فغزل التروبادورز في القرون الوسطى الاقطاعية كان يجعل من الشاعر المحب عبدا لسيدة احلامه ويبيح الاتصال بها خارج نطاق الزوجية ويلح على الخلاص والتفاني مدى الحياة مهما ترفعت عنه ، فالحب في مفاهيم ذلك العصر كان يحمل جزاءه في نفسه . هذا الحب اختلف عن الحب الذي عبر عنه دانتي وبترارك عندما رفعاه وقرناه بالدين وبالحب الالهي في القرن السادس عشر وهو غير الحب الذي تحدث عنه الشعراء البيوريتانيون وقرنوه نهائيا بالزواج في القرن السابع عشر .

وفي تاريخنا الادبي نحن نجد الغزل عندنا يتطور ايضا بتطور الحياة الاجتماعية والروحية والمفاهيم والعادات فمن حسية الجاهلية وغزلها المليء بالعنفوان والرغبة ننتقل في العصر الاموي الى حال مخالف كل المخالفة بتأثير الدين الجديد والمفاهيم التي استحدثها ، ففي هذا العصر نجد عندنا الغزل البدوي العفيف في بادية الحجاز والغزل الحضري الصريح في حواضرها ـ وكلاهما كان غزلا مختصا وكلاهما اختلف عن الغزل الجاهلي الذي ركز اهتمامه على وصف محاسن المراة واظهار الرغبة بها ، فقد حلل الشعر الجديد عواطف الحب ووصف لواعجه وهناءاته بشيء كثير من الرقة والابداع . وينتقل الغزل في العصر العباسي الى حال آخر ـ باختلاف الاحوال الاجتماعية والثقافية ـ ويكثر عندنا من جهة غزل المجون ومن جهة اخرى توضع القوانين النقدية لفن الشعر في هذا العصر لتضطر الشاعر على الانضباط مع العمود

الشعري المقرر . غير ان الميزة الغالبة على الغزل العباسي[1] هي انه لم يكن يعامل موضوع الحب اجمالا بتلك الجدية وبذلك الاجلال الذي عرفناهما عند شعرائنا العشاق في العصر الاموي وعند شعراء الغزل العالميين . ولهذا التطور جذور اجتماعية ونفسية قوية .

وفي عصر الانحطاط يصبح الغزل نوعاً من العبث والزخرف العاطفي والسطحية ليعكس لنا تطورا هاما في حياتنا الاجتماعية ايضا .

هذا التطور التاريخي في غزلنا والذي ذكرته باختصار شديد دون ان ابحث جذوره واسبابه الاجتماعية لضيق المجال ، كان تطورا طبيعيا يبرهن على ان الغزل كان دائما يرافق الحياة الاجتماعية ويعكس تدرجها وتطورها .

ولكن كثرة التيارات التي اجتاحت حياتنا المعاصرة دفعة واحدة من تاريخية كلاسيكية الى اجتماعية : تطورية او اتباعية الى نفسية : منكبتة او منطلقة ، الى ثقافية متباينة الدرجات والانواع كانت العامل الاول في اننا نملك كل هذه المذاهب في غزلنا المعاصر .

٢ ــ ولكن الميزة الثانية لغزلنا المعاصر هي انه ما زال اتباعيا في الكثير من نماذجه . ان الكثيرين من شعرائنا المعاصرين ما زالوا يرددون انغام القدماء . وان اسباب هذه الاتباعية ترجع الى عدة عوامل لعل اهمها هو اعتناقنا لمفاهيم الغزل القديم جميعها باختلاف عصورها . وهذه ظاهرة ، وان كانت سهلة التعليل بالنسبة لشعرنا الحديث ، الا انها غير مألوفة في تاريخ الآداب التي تتطور تطورا طبيعيا . اننا ، بعد التجمد الطويل الذي اصاب آدابنا في عصر الانحطاط ، قمنا نحيي هذه الآداب دفعة واحدة ، وراح الجيل الاول في هذا القرن يحيطها بأمنع هالات التقديس ، ثم ورث عنه الجيل الذي تلاه هذا الشعور العميق بالاجلال لها ، سيما أولئك الذين اقتصرت ثقافتهم على الدراسات العربية . لم يكن هناك مجال للاختيار عند تلامذة الادب القديم ، فقد كانت الهوة التي فصلت عصر النهضة عن العصر الكلاسيكي تضعهم في موقف ضعف وقصور أزاء آدابه جميعها لعدم استنادهم على ماض فني قريب ، فكان اعتناقهم لجملة المفاهيم القديمة امرا لا مندوحة عنه . لقد كان من الصعب جدا في بداءة النهضة الادبية ان يخلق الشاعر لنفسه شخصية مستقلة بآرائها ومفاهيمها والمعاني التي تتعشقها ــ فتعشقت الاجيال الحديثة كل انواع الغزل القديم وطربت لها بالتساوي ، وهذا يفسر ايضا شيئاً عن البلبلة التي نلحظها في نظرة الشاعر الواحد احياناً الى الحب والمرأة . ان جيلي شعرائنا الماضيين ، ومنهم كثيرون ما زالوا احياء ومنهم من لهم مواليد وتلاميذ كثيرون في جيلنا ، لم يستطيعوا ان يطلقوا روح الانسان المعاصر من أعماقهم . لقد كانوا مرهقين بألف ثقل ، مكبلين بقيود الاتباعية والتقاليد وبالتراث النفسي الذي ورثوه وبهالة التقديس للشعر القديم وكل مفاهيمه ومضامينه والتي فرضت نفسها عليهم ، ولذلك فانهم رددوا انغام القدماء بكل الوانها ــ ضرورة يحتمها الفراغ الثقافي الطويل الذي سبقهم . انه ليس من السهل ان ينطلق الانسان دفعة واحدة من اللاشيء ، من درجة الصفر الى ذروة الابداع والاستقلال الفني الخلاق .

ولعل تعشقنا لاساليب القدماء لم يكن وحده السبب في اتباعيتنا ــ فهناك الشيء الكثير من التجمد الفني والكسل العقلي . وهناك ، فوق هذا ، ذلك التكرار المستمر في شعرنا للتعابير القديمة المألوفة التي تحمل في ذاتها ردود فعلها التقليدية الجاهزة . ان هذه التعابير القدمة اخطر على الشعر والفن من أي مزلق آخر ــ ولعل العامل الذي يشجع الشعراء على الاستمرار في استعمالها هو عامل الجمهور الذي يستجيب لها بسرعة تطمئن الشاعر وتقنعه وتفرحه . ان في هذه الطمأنينة قصورا فنيا شديدا ، وان في الالحاح على احداث ردود فعل عاطفية سريعة عند المستمعين او القراء ، سيما المستمعين، شيئا من سوء الظن بهم وبقدرتهم على التطور الذوقي وعلى ان يغيروا من مفاهيمهم الفنية ــ لقد حتم عدد من شعرائنا ونقادنا على هذا الجمهور ان يستمع لنوع معين من الشعر وهو نوع تقليدي بحت ، وقد أكدوا انه لن يستجيب للانواع الجديدة ــ ومن البديهي ان الجمهور بعد الفن هو المظلوم في هذا المضمار وانني متأكدة تمام التأكد ان في مقدور الجمهور ان يتطور وان يستوعب الجديد ولو بمقدار ، وان يساير بعض النمو الفني حوله .

أن شعرائنا ، بالالحاح على استعمال التعابير التقليدية المألوفة بما يكمن من ردود فعلها الجاهزة ، قد حتموا أن تبقى مواضيع الغزل هي هي وعواطفه هي هي ــ لان الفكرة والعاطفة القديمتين مقرونتان دائما بالتعبير القديم ومن الصعب تفريقهما عنه .

---

[1] نقول « الغالبة » ونحن ندرك اهمية مكانة العباس بن الاحنف في الشعر العباسي والذي كان من شعراء الغزل العفيف المختصين الموحدين بالحب ــ وانما مثل العباس لا يؤخذ قياسا عندما نتحدث عن الميزات العامة .

غير أن الاتباعية في غزلنا لا تقع كلها على هذه الاسباب الفنية والثقافية ــ بل ان شيئا منها ينبع من اعماقنا ليعبر عن طرقنا النفسية في النظر الى الحياة ــ اننا رغم تطورنا مازال الكثيرون منا يدينون بالآراء القديمة فيما يتعلق بالحب وبالمرأة وهذا اهم سبب من اسباب الاتباعية في غزلنا . انه مازال بيننا الرجل الذي ينظر الى الحب كما كان ينظر اليه الرجل الجاهلي الذي كان واقعيا في نظرته الى الحياة وحسيا في نظرته الى المراة وكان يقنع من دنياه ، بلمذات الصيد والخمر والنساء .

وما زال بيننا الرجل الذي يلح على صفة الطهر في المرأة ويبرزها في شعره كما فعل شعراؤنا المعذبون ــ فان عرب اليوم قد ورثوا عن اسلافهم هذه النظرة الصارمة لفضائل المرأة السلبية وعلى راسها الطهر وقدسوا العفاف والخجل .

وما زال بيننا الرجل الذي يعتبر الحب لونا من العبث المشروع ــ انه سليل الرجل العباسي الذي عاش في عصر استقرت فيه مفاهيم معينة تجاه المرأة ــ انه عصر الحريم والحجاب والجواري ــ كانت المراة العربيةمحبوسة وراء حجاب مضروب ــ لكنها حبسها لم يسبب أي نوع من الكبت عند الرجل فقد كان السوق عامرا بالجواري وكان هو صاحب القدرة التي منحها اياه الدين على التسري ، والزواج بالجملة ، والطلاق كيفما شاء . ان احفاد العباسيين من الرجال كثيرون عندنا اليوم ولا بد ان يعبروا عن نفسياتهم هذه بشعرهم ان كانوا شعراء .

٣ ــ ولعل الميزة الثالثة لغزلنا المعاصر هو تأثره بمدارس الشعر الغربية كالمدرسة الرومانتيقية والمدرسة الرمزية ، الاولى بذلك الشعر المفعم بالحنين والاسى والذي قرن الحب بالطبيعة واستعمل تعابير وكلمات لها مدلولات مطلقة وألح على الذكريات والاحلام وتمثل محبوبته حورية من حواري الجنان ، ــ والثانية ، أي الرمزية ، برصانة تعبيرها عن الحب وانطباطها العاطفي(١) .

غير ان تأثير المدرسة الرومانطيقية الغربية كان أقوى من أي من المؤثرات الاخرى . لقد استطاعت المدرسة الرومانطيقية ان تجد لها منزلا رحبا عندنا لاكثر من سبب واحد . فمن هذه الاسباب ان الكثير من شعرنا التقليدي سيما الغزلي منه ، رومانطيقي المنحى ، كذلك الوقوف على الاطلال وكل تلك السيول من الدموع والآهات والعذاب والارق والفراق والتفاني واعتبار المحبوب ابدع الناس صورة وبهاء ــ هذه كلها معان رومانطيقية كان العربي يقبل عليها بلهفة شديدة . والدارس للمائة صوت في الاغاني مثلا يجد ان اكثر من ٨٥ ٪ منها تتعلق بالغزل ــ وان اكثر من نصف هذه المقطوعات الغزلية تتضمن معاني الغزل الرومانطيقي من تدله وبكاء وشجن وحنين واطلال .

وسبب آخر لتسلط الرومانطيقية علينا ان جيلي النصف الاول من هذا القرن كانا مكبوتين محرومين اذ ان المجتمع كان قد بدأ يتغير وبدأ الرجل العربي يخسر الكثير من فرص العبث المشروع ــ فالتسري كان قد انتهى في اغلب البلدان العربية الى غير رجعة والزواج الثنائي قل كثيرا عند المثقفين والشعراء منهم عادة ، كما وان المراة بدأت فيما بين الحربين تسترجع الكثير من حقوقها وتستعيد شخصيتها القديمة . ويتنازل الرجل بدوره عن الكثير من حقوقه التي ألفها رجال القرن الماضي قويت جذور الرومانطيقية في النفوس وتحول مجرى عواطف الرجل نحو الحزن أو تأليه المحبوبة سواء أكانت من لحم ودم او من صنع الخيال .

وسبب ثالث لتقوية الروح الرومانطيقية عندنا كانت الخيبات التي منينا بها سياسيا عاماً بعد عام . لقد قويت جذور الرومانطيقية عندنا فيما بين الحربين عندما كنا قد نلنا ضربات كثيرة متتالية في صميم كياننا القومي وكان من البديهي ان يتولد الحزن في أعماقنا وان نحاول الهروب من واقعنا وان تتجه عواطفنا نحو الحب والطبيعة والخيال .

هذه العوامل الثلاثة ساعدت على ترسيخ جذور الرومانطيقية بمعناها العريض لا بمعناها الدقيق في نفوسنا . لقد طبعت الرومانطيقية الكثير من شعرنا الغزلي الحديث بطابع قوي ــ ومع اننا لا نجدها بميزاتها المتواضع عليها الا عند شعراء قلة كأبي شبكة والشابي الا انها استطاعت ان تتسرب الى أغلب الشعر الغزلي عندنا . ما زال الشاعر عندنا منكبا اجمالا على وصف خوالج الذات وعلى تعرية آلامه واشواقه وتعاسته دونما تردد وما زال عدد كبير من الشعراء يعتمدون على الانطلاق وراء الخيال وعلى دمج الحب بالطبيعة وعلى

---

(١) قصيدة طهر للدكتور بديع حقي . أن شعر بديع حقي ينحي منحى شعر سعيد عقل المثل الاول للرمزية عندنا في تقديسه المكنون للمراة وفي رقته وانضباطه .

التعبير التجريدي عن الفكر والأحاسيس . أن رومانطيقيتنا اليوم ملوثة بألف لون ولون [1] .

٤ ــ ولعل الميزة الرابعة لغزلنا المعاصر هي انه مازال بابا من ابواب الشعر الهامة جدا عندنا بل انه والشعر الوطني أهم بابين اطلاقا ــ تماما كما كان الحال في العصر الاموي حيث كان الغزل والشعر السياسي أهم بابين من ابواب الشعر ، ان بروز الغزل في النتاج الشعري المعاصر اجمالا قد يدعو الى الدهشة عندما نذكر ان حياتنا في الفترة الحاضرة تجتاز طورا شديد النشاط شديد الفعالية وان هناك آلافا من المواضيع الهامة الحيوية التي تتعلق بالانسان المعاصر ومشكلاته وآلامه واحزانه وقلقه وخوفه وآماله من المنتظر ان تفرض نفسها على الشاعر . ان الحب موضوع كياني وسوف يبقى له وجود دائما في الشعر ــ انما بروزه في شعرنا المعاصر الى هذه الدرجة ظاهرة تلفت النظر . ان في المكتبات عشرات الدواوين التي تكاد لا تتحدث الا عن الحب فكيف نعلل هذه الظاهرة في شعرنا المعاصر ؟

٥ ــ وميزة خامسة لغزلنا المعاصر هي ان القصيدة الغزلية ، اجمالا ، لم تستطع ان تدخل دائرة حياة الشاعر المكتملة . انها تبقى في اغلب الاحيان خارج نطاق الحياة المعاشة ويبقى حب الشاعر اجمالا كما يصوره في شعره منفصلا عن تجربته الحياتية الشاملة . ولنمثل على هذا بأحاديث الفراق والحنين مثلا ــ ان الشاعر المعاصر كثيرا ما يردد تعابير الشوق والحزن على الفراق بصورة تقليدية دون ان يثور على اسباب هذا الفراق الحقيقية ــ دون ان يصور لنا الازمة الوجودية التي يعانيها ــ دون ان يربط حبه بمأساته الحياتية التي تكون قد أثرت فيه . غير ان هذه الميزة قد بدأت تضعف في شعرنا الجديد وقام شعراء نظروا الى الحياة نظرة شاملة وعندما تحدثوا عن الحب لم ينزلوه منزلة الامر الخاص العابر الذي يدخل القلب ويخرج منه دون ان تتأثر كل حياة الشاعر بهذا الحدث ــ ان الحب بدأ يأخذ شكله الحقيقي في القصيدة المعاصرة عند بعض الشعراء ويبرز متداخلا بحياة الشاعر وبكل تجربته الوجودية وعندنا شعراء أمثال خليل حاوي وصلاح عبد الصبور ممن جعلوا لتجربة الحب الشخصية علاقة وثيقة بتجربة الحياة كلها[2] .

أما نزار قباني ، شاعر المرأة الاول عندنا فان غزله ملتصق اشد الالتصاق بحياته ومنبثق عن تجاربه وعن سعيه الدائب الناب. من طبيعته الخاصة وراء الجمال النسوي .

بعض القيم في غزلنا المعاصر

ان غزلنا المعاصر سيحفظ لنا جميع القيم ووجهات النظر فيما يتعلق بالحب وبالمرأة كما يدين بها شعراء هذا الجيل . ولاختلاف وجهات النظر والقيم اسباب حضارية واجتماعية وسيكولوجية تحدثنا عنها قبل قليل ووصفناها بأنها متعددة الجوانب متباينة النزعات. والحقيقة ان البحث عن قيمنا في شعر الغزل المعاصر وتقرير اصالتها او عدمها عملية شيقة ومرضية غير انه لا بد لي ان اكتفي ببعض الاشارات والتلميحات هنا وهناك لان خوض هذا الموضوع الكبير بعمق وتفصيل امر يحتاج الى مزيد من الوقت .

ما هي نظرتنا الى الحب ؟ وما هي نظرة الرجل عندنا للمرأة ؟ وما هي نظرة المرأة عندنا للرجل ؟ اننا نملك وجهات نظر كثيرة تتدرج من نظرة الجاهلي الحسية للحب وللمرأة الى النظرة البتراركية التي ألهتها وقرنت حبها بالحب الالهي .

ان شعراءنا اليوم يعبرون عن نظرتهم للحب وشوقهم له بطرق متباينة . هناك الشوق المجرد الصافي ــ الشوق الاثيري الذي يملأ كيان الشاعر كما في شعر فدوى طوقان وعمر النص :

انت والحب مالئان فؤادي
فاغفري لي ان ادعاك جناني
اغفري لي اذا جعلتك محرا
ب شباب معذب لهفان

ولعل النظرة الغالبية للحب في شعرنا المعاصر هي النظرة الطبيعية التي تعادل بين الاثيرية والحسية ولعل هذا المثل من ابراهيم طوقان يفي بالتعبير عنه :

(١) لا بد من التنويه هنا ان اعطائنا هذه الميزات العامة لغزلنا المعاصر لا يعني تقسيمه الى مدارس عامة فهذه الميزات لا يناقض بعضها البعض بالضرورة وقد تقدم لنا الرومانطيقية مشوبة بالقديم كما في شعر بشارة الخوري في لبنان والشبيبي في العراق ،

(٢) قصيدة عبد الصبور ديوان الناس في بلادي صفحة ١٢٦

حيرة

وقد رآها مستلقية

ما كنت أرغب أن أسمى قاسياً
فأنفر الاحلام من عينيها
والشوق يدفعني الى ايقاظها
ويدي تحاذر أن تمد اليها
وكأنما شعر الرقاد بنعمة
فأقام غير مفارق جفنيها
ويل لقلبي كيف لم يفتك به
مرأى تقلبها على جنبيها
وتنهدت مما تكن ضلوعها
يا شوق ويحك لا ترع نهديها
حسبي جوى أني نظرت لشعرها
ينكب مرتشفاً ندى خديها
واغار منه اذا اطمأن بها الكرى
ويثيرني متوسداً زنديها

* * *

أرنو بلهفة عاشق لم يبق من
صبر لدي ، وقد حنوت عليها
فيصدني ادبي فابعد هيبة
واود لو أجثو على قدميها
فالنفس بين تهيب مما ترى
وتلهب ، فاحترت في أمريها
ولعل أشواقي بلفن بي المدى
فوقعت لا أصحو على شفتيها

وهناك النظرة المركزة على النظرة الحسية ومنها أمثلة كثيرة . ولعل الدارس لغزلنا سيلحظ ان الشاعر الواحد عندنا قد يتناول هذا النوع من الغزل الى جانب غيره ـ فهو في بعض غزله رقيق صاف يصف لواعج الحب ومسراته كما لو كان مكتفيا به لنفسه ثم يفجؤك بقصيدة حسية تعبر عن رغبة عنيفة تكاد تنفجر(١)

ومن القيم التي تتردد في شعرنا المعاصر الاشادة بعفاف المراة وطهرها كقول الشاعر فهد ابراهيم :

او لست من دنيا النقاوة نفحة
علــوية من عالم الافلاك

ما كنت أعرف للوجود طلاوة
وحلاوة وسعادة لولاك
مسحته مقلتك الطهور من الاذى
وجلته من أدرانه يسراك

وفي شعر الياس أبي شبكة يكثر ذكر الطهر والعفة والحياء كصفات رائعة من صفات المراة ـ ولعل ذكر ابي شبكة هنا يذكرنا بمثل آخر معاكس لهذا من أمثلة القيم التي يحتفظ بها جزء كبير من غزلنا ـ هي القيمة هي احتقار الرجس ـ فبقدر ما يجل ابو شبكة الطهارة في حبيباته احتقر الخطيئة في عشيقته كما راينا في افاعي الفردوس .

وليس ابو شبكة الوحيد الذي فعل هذا فان عددا ليس بقليل من الشعراء حذو حذوه .

ان هذه الظاهرة ليست عجيبة فهي تنبع من صميم خلقنا العربي ـ الرجل الذي يتطلب الطهر من المراة الحبيبة ـ ولكنه يبيح لنفسه الاستسلام والاهواء ثم يصب غضبه على المراة التي منحته لبانته . اننا شعب نؤمن بالعفة والطهر والمناعة الخلقية عند المراة .

ومن القيم التي تتردد في شعرنا المعاصر حب الجمال الذي قد يعتبره الشاعر ملهما له وكلنا يعرف عن سعي نزار قباني وراء الجمال(١)

وللحب في بعض قصائدنا المعاصرة قدسية وجمال وجلال ـ وهو غاية في الحياة احيانا وشريعة وجدانية(٢) .
ولعلنا ننتقل الآن فنتحدث حديثا مختصرا عن الحب عن الشاعرات .

٢

لعل فدوى طوقان اكثر شاعراتنا غزلا وتشبثا بفكرة الحب . انها الانثى المعطاء التي غمرت حبها وعواطف أمومتها الكامنة :

طوانا هناك على الشط ليل
ندي الفلائل شف مضيء
وأنت بجنبي طفلي الحبيب
تنفض قصة عمر ملىء

والحب عند فدوى هو الحياة وهو مصدر الخير والسعادة والراحة والسكينة ـ انه عطاء كامل وانغماس كامل وقبول كامل :

---

(١) قصيدتان من شعر خليل خوري للتمثيل على وجود هذين النوعين عند الشاعر الواحد .

(١) قصيدة للاستاذ مدحة عكاش .
(٢) قصيدة للاستاذ احمد عبد المعطي حجازي .

ناديني من آخر الدنيا ألبي
كل درب لك يفضي فهو دربي
يا حبيبي أنت تحيا لتنادي
يا حبيبي أنا أحيا لألبي
صوت حبي ، أنت حبي
أنت دنيا ملء قلبي
كلما ناديتني جئت اليك
بكنوزي كلها ملك يديك
بينابيعي باثماري بخصبي
يا حبيبي . . . .

انها اكثر شاعراتنا الحاحا على الحب المتفائل تفتح له ذراعيها بشوق هائل وتتحدى مفاهيم المجتمع المتأخر مجاهرة بهذا الحب الغني الذي تغلب عليه المسحة الروحية

وتلتقي فدوى بنازك الملائكة في شعورهما بالوحشة الشديدة اذا خلت الحياة من الحب ولعل تعبير فدوى عن وحشتها اكثر مباشرة من نازك التي تغلف وحشتها وتشبثها بالحب تحت ستر الكبرياء والكراهية والالحاح على الافتراق . شعر نازك تكثر به قصائد الخصام وهي تذكر الملل الشديد الذي يعتريها وكأنها تريد ان تخفي عاطفيتها واشواقها وراء تعابير النفور واللامبالاة — ان قصائد نازك الحبية شديدة التناقض فهي تارة تدعو الى الفراق بقسوة والحاح وتندد بالضجر وبرودة العاطفة والخمود .

وابغضتك لم يبق سوى مقتي أناجيه
واسقيه دماء غدي واغرق حاضري فيه
واطعمه لظى اللعنات والثورة والنقمه
واسمعه صراخ الحقد في اغنية جهصه
ومن اغفاءة الموتى اغذيه
وانثر حوله الاشباح والظلمه

وهي طورا تعترف بالوحشة العنيفة التي تعصر قلبها بعد ان غاب عنها الحبيب :

ارجع أواه الا تسمع صوتي الموهون
لن أبقى وحدي في هذا الدرب المجنون
هذا الافق المستغلق حيث النجم عيون
حيث الاشجار هياكل أفكار وظنون

ان شعرها مليء بالوحشة ، مترع بالحيرة والقلق — واعتقد ان هذه الوحشة وهذا القلق مرتبطان مباشرة بمآسيها العاطفية التي ظلت ترمي على حياتها ظلال الانقلابية .

وهي لا تعرف شيئا من تفاؤل فدوى وثقتها بالحب بل هي سريعة النفور شديدة الحساسية والخوف والشك، تكاد لا تتمالك العيش مع من تحب الا قليلا وهي رغم نداءاتها الملهوفة التي تطلقها هنا وهناك تظل شديدة الكبرياء شديدة الاعتداد ، ولعل حبها لا يورق الا في بعد الحبيب كما نرى من قصيدتها « الزائر الذي لم يجيء » والذي لو جاء لفقد سحره عندها .

ولعل اغلب شاعراتنا يعانين الوحشة للحب بدرجات متفاوتة[1]

انها قصة الحب عندنا في الشرق — دائما هذا الحرمان والضيق والوحشة والشوق الى الحب . تقول ادفيك الجريديني شيبوب :

« ما ذا أقول بعد ، في عطش لا يرتوي ، وفي جوع لا يشبع ، وتوق الى نزهة منفردة تطول ، والى حديث عن الحب لا ينتهي » .

ولكن قصة ادفيك تختلف مع ذلك . فهذه امراة فقدت زوجها بعد زواج اربع سنوات ولعلنا نجد في شعرها المنثور ارق تعبير عن الحبيب الذي يموت فيبقى ذكره في القلب حيا نديا دون ان يستعبد هذا القلب ودون أن تملأ صاحبته الدنيا عويلا . وفي شعرها دائما ذلك التروي والمحاولة الواعية لتهدئة القلب وكبح جماحه عندما يكتشف في اعماقه ميلا جديدا — انها تكلم زوجها الراحل فتقول :

« والآن يتراءى لي بين حين وحين ، أن غريبا يطل على هذا القلب ، ليشغل مكانك المهجور ، لكنه لا يلبث ان يرتد ، فالمكان اما صغير لا يسعه ، أو كبير يضيع فيه » .

أما عزيزة هارون فانها نغم عذب من أنغام شعرنا النسوي ويشوب غزلها الحنون شيء من الصوفية الناعمة :

« وماذا يهمك من عودتي وأنت رفيقي في رحلتي ، رأيت السماوات في وحدتي ، وهيأت نفسي لسر الخلود ، وحلمي أني أراه وابصر فيه الاله ، تنور قلبي رؤاه فتصبح روحي صلاه ، وانسى الوجود » .

ولعل عزيزة تختلف عن شاعراتنا الاخريات بأنها

(1) قصيدة الآنسة هيام نويلاتي .

تتغزل بنفسها وتدللها في الشعر ، ففي حديثها عن ليلة مقمرة :

« سأسرق هذا الشعاع ، واخطف هذا السنا ، لعلي أفوز بما أشتهيه وألقى المنى ، سأسرق هذا الجمال العجيب ، واخطف هذا الشعاع الغريب ، ليرضي الحبيب ، فيبصر في فتون الجمال ، وسر الدلال ، وابصر فيه جنون الهوى ، فأصرخ من فرحتي ها أنا ، ملكت الدنا » .

وأما طلعة الرفاعي فيؤسفني غيابها لانني لست مطلعة الا على جزء بسيط من شعرها الغزلي وقد وجدتها اكثر شاعراتنا صراحة تذكرني بصراحة حفصة الركونية والولادة بنت المستكفي الاندلسيتين .

* * *

انني أعلم بانني لم أف هذا الموضوع شيئا من حقه فالبحث طويل مثير وانواع الغزل كثيرة واختلاف النفسيات وراءها شديد ولكن المقام لا يسمح بأكثر مما سمح .

سلمى الخضرا الجيوسي

في يوم الجزائر

الموت يحصد أخوتي والظلم يهدم قريتي
والخنق كاد يميتني والجوع عض صفيرتي
والشعب شعبي ثائر ـ بغداد ـ تزار وحدتي
والقدس تسألنا الوفا صهيون دنس حرمتي

حتى ما نصبر يا اخوتي على انتهاك أحبتي ؟
حتى ما نصبر . . اننا لم نجن غير المحنة
هيا توحد صفنا يكفي تفرق أمتي
هيا ، فوحدة يعرب حصن يصون كرامتي

ما ذا ؟ اتلك بشائر .. للنور تزحم بلدتي
اني لمحت طلائعا .. للنصر تضمن عزتي
اني وثقت بأمتي حتى ظننت لفرحتي
أن الدنا وشعوبها طرا تهاب عشيرتي

لكن فرحتي التي .. منها صبابة مهجتي
صرخت ، تمهل يا فتى واذكر جزائرك التي ..
تلقى العدو لوحدها .. تلقاه جبارا عتي
لم تستغث رغم الفظائع لم تقل وا اخوتي !

مهلا جزائرنا الحبيبة فالوفا من شيمتي
اني لثورتك الوقود فهللي : قوميتي
اني أدين بيعرب لا دين غير عروبتي
ان كنت في شك فهاك يدي تجدد بيعتي

غازي الجندلي

النهضة الشعرية في المهجر

بقلم : محي الدين صبحي

جارت الخلافة العثمانية على رعاياها من العرب ، واضاعت جهود المواطنين بكثرة المصادرات ، وفرقت بين طوائفهم ، وضيقت عليهم مجالات العمل والتعبير ، فوجدوا لانفسهم مخرجا بالهجرة الى الامريكتين سرا وجهرا . وحين استقروا واخذوا بأسباب الحياة المادية التفتوا الى الحرية المطلقة التي منحتها دول المهجر لرعاياها، وحققوا حريتهم الفكرية بالصور الكلامية ، كما تعودالعرب ان يفعلوا دائما ، فلم يظهر من المهجرين من الفنانين غير الكتاب والشعراء وكان جبران بدعة حين مارس فن الرسم .

مزج الادب المهجري الكلاسيكية العربية بالرومانتيكية الغربية ، وكان اذا هام في سبحات الفن اقتطف من الرمزية ما تضيق به طاقة التعبير .

يتميز ادب المهجر بصفة عامة هي التجديد الطامح الى الكمال وبخصائص قوية بارزة في قالبه وفي مضمونه . ففي القالب يتميز الادب المهجري بالتحرر التام من قيود القديم مع المحافظة على ما أمكن تطويره من تراثه ، اما المضمون فمن خصائصه طغيان العاطفة على اكثر نتاجه ، ثم ظهور الطابع الصوفي بحبهم للطبيعة وهيامهم بالوجود وما وراء المنظور من أسرار تلف بضبابها معنى الحياة وغايتها ، وشدة انشغالهم بهذه الامور ، اعطى نتاجهم طابع الادب التأملي الذي يحار في مصائر البشر واقدارهم، كما أعطاه الطابع التوجيهي من حيث منحاه الاخلاقي تجاه الفضائل والرذائل ، وهو الى ذلك كله ادب قومي يركز الوطنية على أسس علمية من توحد اللغة والتاريخ والاهداف انه ادب يرتكز على القومية العربية والروحانية الشرقية في اطلاله على الحياة الانسانية المتطلعة الى غد افضل والقرب الى مثل الحق والخير والجمال .

وكان لا بد لهذه النهضة من الاستناد الى ناقد يتبناها ويظهر محاسنها ويهاجم مناوئيها ، ويقعد بدعاتها الفنية ويقنن انطلاقتها . وقد قام ميخائيل نعيمة بهذا الدور . والغربال شاهد على حرارة اخلاصه لمثله . وفي الصفحة ١٢٨ منه مقال بعنوان (الارواح الحائرة) يقول فيها :

« ان اول ما أبحث عنه في كل ما يقع تحت نظري باسم الشعر هو نسمة الحياة . والذي أعنيه بـ ـ نسمة الحياة ـ ليس الا انعكاس بعض ما في داخلي من عوامل الوجود في الكلام المنظوم الذي أطالعه ، فان عثرت فيه على مثل تلك النسمة ايقنت انه شعر . والا عرفته جمادا . واذ ذاك ليس يخدعني بأوزانه المحكمة ومفرداته المنمقة وقوافيه المترجرجة .

ومتى ادركت ان ما أطالعه شعرا ميزته عن سواه ـ اولا باتساع مداه : بعمقه وعلوه وانفراج ارجائه ، وبعد ذلك فحصت عن سرواله الخارجي ، عن دقة تركيبه ، وحلاوة رنته ، وطلاوة الوانه ، وآخر ما أعيره انتباها هو الاوزان والقوانين العروضية والقواعد اللغوية .

فالشعر الذي ينزل بفكري الى اغوار تحتها اغوار ، ويعلو به الى سموات تلوح من ورائها سموات ، ويفتح لخيالي آفاقا خلفها آفاق ، ويفسح لعاطفتي مدى يجره الى امداء . هو الشعر الذي تستأنس به روحي وتفتح له براعيم الحياة في داخلي » .

وهو في هذه الفقرة قد عبر عن مفهوم المهجريين الشماليين للادب من حيث صياغته ومضمونه وبخاصة الشعر . وكان اجتنابهم للتأنق في الشكل من حيث البحور واللغة ، داعيا النقاد الى اخذ مآخذ عديدة على الادب المهجري ، وبخاصة ضعف اللغة واختيار الالفاظ التجسيدية دون استخدام طاقتها الايحائية ، ولا يرفض هذا المأخذ سوى الاستاذ العقاد والدكتور محمد مندور الذي يقول : « وننظر في اللفظ فتعرض لنا مشكلة طالما أثرناها في مصر هي أخذنا على شعراء المهجر ما نسميه ضعف العربية في الاسلوب . وهذه تهمة يجب أن نقلع عنها ، لانني كلما أمعنت النظر في الفاظهم وتراكيبهم لم أجد لها مثيلا في شعرنا الحديث من

حيث الدقة والقدرة على أثارة الاحساس . نعم قد يخطئون في النحو والصرف ، ولكن هذه في نظري اشياء نادرة لها نظائرها عند اكبر الكتاب . »

ويأخذ صلاح لبكي على شعراء المهجر في كتابه « لبنان الشاعر » غياب جمال المرأة عن شعرهم باستثناء جبران ، وهذه سمة لا تنطبق على أي أدب او مذهب ادبي يقول شفيق معلوف في احدى قصائده :

بالتي تقطف النجوم يداها
ثم تلقي بهن تحت وسادي
بفتاة كأن أجنحة الشحرور
كحلن عيونها بسواد
نقلي يا يد النسيم على أهدا
بها السود ريشة العواد
ان أهدابها بقية أوتاري
شدت الى بقايا فؤادي

وكان جبران أجرأ من ثار على الاساليب القديمة فغمس ريشته بألوان قوس قزح وحملها من رذاذ النغم ما يجعل الحروف ترتعش تحت نبضات قلبه وقلمه .

في فنية جبران يعمل شيئان : لبنان والتوراة ، — ان جبران في تآليفه العربية لبناني محض ، بل اقليمي — والتوراة تظهر في ثورته وتوجيهاته للناس وفي أسلوبه اللدن المرن الموسيقي الصوفي .

وقصص جبران جميعها ، بل أدب جبران كله قوامه الحب . فحب اللحم والعظم هو القطب الجبراني وعليه تدور رحاه الطاحنة ... وما اغراقه في الصوفية الارجاء الخلود في حضن المادة ، والتنقل من حال الى حال ليظل يتمتع بمباهج الحياة وملذاتها ، الحب الانساني المادي هو انشودة جبران وهو غرضه في جميع أقاصيصه .. وفي ذلك يقول ابو شبكة « ... كان جبران يتحدث عن الروح وتعاليمها وهو غارق في جسده .. يتحدث عن الحب الاسمى ولا يعني الا الحب الانساني ، وهذا ما يحملني على التأكيد بأن الرجل وثني المعتقد ، وان كتب عن يسوع ما كتب فينيقي عتيق يرى في مسيحه شخصية أدونيس بعد اجيال ، ومع هذا اخالني متأكدا ان الحب لم يسمع صوتا الذ واعمق من صوت جبران ، ليس في الادب العربي فقط بل في الادب العالمي .. اما اثر جبران في الرابطة القلمية وما بعدها فلا يزال ملموسا ، فكل أعطائها اقتربوا من طريقته في التفكير والتعبير ... ان جبران شاعر في منثوره لا في منظومه . اراد ان يفلسف نظما فقال أشياء ... هي افكار اكثر منها موسيقى »

وهي ميزة في شعر المهجر طبع بها جبران زملاءه المهجريين حتى دفع اليأس ابا شبكة الى القول عن شعر المهجريين « وفي هذا الشعر يغلب التفكير الفلسفي والارتفاع الى الصوفية ، وقد لا تقع في قصائد شعراء المهجر على عاطفة صادرة عن القلب الا في النادر القليل » .

أما ايليا ابو ماضي فقد احدث تجديدا في الكلمة الشعرية جعلها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية، والمشاكل النفسية دون ان تخرج من اطار البساطة والوضوح وانه لمن المدهشات ان يكون أعمق الشعراء فكرا وأسلسهم بيانا ، ورغم اتصاله بالرابطة القلمية فانه لم يستسلم لتيارها الصوفي ولا التناسخي مع انه انسجم ومبادئها الفنية . وقد اصدر الجداول سنة ١٩٢٧ أي بعد عشر سنوات من اقامته في المهجر ، وفيه عرض شعوره الانساني ضمن صور فنية وانغام عذبة وموضوعات عديدة المناحي ، دقيقة التحليل . وبعد عشرين سنة أخرج « الخمائل » . فعلمنا كيف نعيش مع الاشياء التي نعلمها ومع الاشياء التي نجهلها ، علمنا التفكير في مصدر الحياة ونهايتها ، في أسرار الموت وما وراءها ... كما علمنا تناسي الشوك لنتمتع باورد ، وعلمنا الاندماج في الطبيعة حيث الشعور يندى والرجاء يخضوضر :

فليك الليل راهبي وشموعي
الشهب ، والارض كلها محرابي
وكتابي الفضاء أقرأ فيه
سورا ما قرأتها في كتاب
وصلاتي الذي تقول السواقي
وغنائي صوت الصبا في الوادي
ولتكحل يد السماء جفوني
ولتعانق احلامها أهدابي
وليقبل فم الصباح جبيني
وليعطر أريجه جلبابي

وايليا ابو ماضي من اكثر شعراء المهجر تأملا وادامة نظر وسؤالا عن المجهول وخاصة في قصيدته الطلاسم ،

وهو يرفع الحب عن ملابسات الجسد ليوصله الى مراتب الروح ومعرفة الذات والرب :

ان نفسا لم يشرق الحب فيها
هي نفس ، لم تدر ما معناها
انا بالحب قد وصلت الى نفسي
وبالحب قد عرفت الله

وهو لا يتعامل مع الرمزية في مذهب ولا في شطحات، ولكننا نجد قصصا بنيت على الرمز كما نشاهد في حكايات كليلة ودمنة وفي قصيدته « التينة الحمقاء » ـ وهي رمز للشحيح لا يعطي مما تعطيه الحياة فيموت محروما ـ

قالت التينة لاترابها :

بئس القضاء الذي في الارض أوجدني
عندي الجمال وغيري عنده النظر
كم ذا اكلف نفسي فوق طاقتها
وليس لي ، بل لغيري الفيء والثمر

ثم :!

عاد الربيع الى الدنيا بموكبه
فازينت واكتست بالسندس الشجر
وظلت التينة الحمقاء عارية
كأنها وتد في الارض أو حجر
ولم يطق صاحب البستان رؤيتها
فاجتثها ، فهوت في النار تستعر

والآن قد يتساءل القاريء : لم استطاع شعراء المهجر ما لم يستطعه غيرهم ؟ وجوابي هو لانهم قد يكونون من بلاد تحرك مناظرها الجبلية من الخيال ما تحركه السهول ومن هنا يشهد لهم التاريخ بالنزوع نحو المقامرة والتوثب. ثم ان غربتهم في امريكا وكفاحهم من اجل الحياة قد ارهفت حسهم وقوى من نفوسهم .

واخيرا وهذا هو السبب المهم ـ لانهم قوم مثقفون ، قد أمعنوا النظر في الثقافات الغربية التي لا غنى لنا اليوم عنها ، وعرفوا كيف يستفيدون منها بعد أن هضموها في لغاتها الاصلية .

ويرى جورج صيدح السبب « في ان الموهبة الفطرية لا الثقافة ، هي مفتاح السر في تفوق ادب المهجر . يضاف اليها الجد والاجتهاد والتأمل العميق » .

وارى أن كل هذه الاسباب مجتمعة لا تعادل ابتعادهم ـ وهم في سن المراهقة وقبلها ـ عن جو التقليد والاتباع، ان ابداعهم خضع لاذواقهم التي لم يوجهها تراث غير نضج ذاتهم ، ولم يخضع لضغط اصحاب القيم المهترئة والتقاليد البالية . ان بعدهم عن الجو الموبوء بالرجعية الفنية والاجتماعية اعادهم الى الجوهر الصافي من نفوسهم ، والى التعبير الحر من لغتهم ، ودليلنا على ذلك أبو ماضي ، فحين كان في مصر كان يقول :

بيض ترائبها ، سود ذوائبها
زج حواجبها ، كحل مآقيها
قامت تصافحني ، والردف يمنعها
والوجد يدفعها ، والقد يثنيها

وبعد اقامته اربع سنوات في سنسناتي من اعمال أوهايو ، نسي الشاعر الاصيل في نفسه قيود التقاليد في الطباق والجناس فقال :

أيهذا الشاكي ، وما بك داء
كيف تغدو اذا غدوت عليلا
هو عبء على الحياة ثقيل
من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذي نفسه بغير جمال
لا يرى في الوجود .. شيئا جميلا
كن هزارا في عشه يتغنى
لا غرابا في الليل يبكي الطلولا
كن غديرا يسير في الارض رقراقا
ويسقي من جانبيه الحقولا
لا وعاء يقيد الماء حتى
تستحيل المياه فيه وحولا

* * *

أيهذا الشاكي ، وما بك داء
كن جميلا ، تر الوجود جميلا

محي الدين صبحي

قديم ...



هجرتك لا قلى مني ولكن ... رأيت بقاء ودك في الصدود
كهجر الحائمات الورد لما ... رات أن المنية في الورود
تفيض نفوسها ظمأ وتخشى ... حماما ، فهي تنظر من بعيد

احدهم

.. وجديد

توبة



انا تائب لو أن جفني يعينني ... بكيت واذريت الدموع على نفسي
أحس بهذا القلب ما بين اضلعي ... يثور على بؤسي ويهدا على يأسي
وكل ذنوبي الماضيات غسلتها ... بما لاح في عينيك في نظرة الأمس
عشية روحي في الزحام وحيدة ... وطرفك مخضل اللحاظ من الأنس
تحبينني يا حلم عمري ، أم ترى ... وهمت فأنكرت الشعاع على الشمس
لأنت نثرت الحب كل معذب ... رأى من هواك النور في حلكة البؤس
فياليتني في عمر طفلك لم يسر ... الى ثغرك الريان وهمي ولا حسي
ولكن كحب الطل والزهر حبنا ... وحب الندى والعشب،والثغر والكأس
بعيشك غضي من جفونك انني ... اخاف على قلبي المبرا من رجسي
حديث زمان بالغواية كلما ... ذكرت خطاياها عضضت على خمسي
وبين يديك الاثم مات باثمه ... واصبحت في طهر الصباح، فهل أمسي ؟!

عبد السلام العجيلي

قمر اسمر

بقلم : محمود التونجي

لم ارقص معها سوى رقصة واحدة في عمري كما لم اعرفها المعرفة الكافية من هذه الرقصة سوى انها من البارعات في الرقص الغربي ، كان ذلك عندما دعتني احدى قريباتي الى حفلة عيد ميلادها الثاني والعشرين في بيتهم المشرف على الطرف الشرقي للحديقة العامة . دعتني واخبرتني أن أكون يقظا اذ ان (وداد) ــ هذه التي رقصت معها ــ ستحضر ، ونبهتني الى هذه الفتاة وقالت بانها سمراء جذابة ممتلئة القوام .. وانها ذات جاذبية ملحة على ان يتعرف عليها كل شاب .. ثم هي تحب معشر الرجال .. وتحب مراقصتهم ومحادثتهم والاكثار من المواعيد معهم . وقالت : انها بعد الرقصة الاولى ستطلب منك صورة وان وسعها المجال لترقص معك ثانية ثق انها ستطلب منك موعدا .

لم يكن هذا الحديث الذي دار بيني وبين قريبتي هو الوحيد الذي سمعته عنها ، فقد وصلتني اصداء عديدة عنها من صحبي الذين تعلقوا بجسدها الاسمر وهاموا به .. ولكنها تزهق من الجميع فتتركهم بنفس البساطة التي تعرفت بها عليهم .. بعد ان تكون قد مصت رحيقهم كما قال عنها زميل لي في وظيفتي .

مع اني سمعت كل هذا ، ومع اني كنت أراها وقتما كانت تسير مع بعض صحبي الا انني اذكر انني لم اجب اي انسان منهم عن الذي حدثوني عنه ذلك انني كنت اعرف هذا النوع من النساء واعرف قلوبهن . هن لسن خائنات كما يقولون ، وليست هاوية الشبان كما يقولون . انما هي مجرد فتاة من نوع آخر ، تبحث عن شاب يفهمها فيملك قلبها باصبع من حديد . فهي تجرب .. وتطيل في التجريب ، ومتى شعرت انها اخطات في تماديها مع هذا الانسان التي هي بين ساعديه تتركه لتذهب الى الآخر . عساها تجد الذي افتقدته في ذراعي الآخر .. وهكذا تتخبط بها الايام ، وتضيع في كل يوم شيئا من ثقتها بالرجال فتصير جلفة المعاملة ، مادية الحديث . ومن مثلها تقول في قلبها ــ كما قالت زوجتي في تلك الايام ــ بانها لو حصلت على ذلك الانسان الذي يمسك بكل قلبها .. بيد قوية تثبت انه رجل فانها ستكون له أبد الدهر . كما ستكون العبدة العاشقة لسيدها ، ومستعدة لأن تهديه حياتها كما فعلت (باندورا) في اسطورة « الهولندي الطائر » .

هذه الفتاة التي دعتني اليها قريبتي والتي حذرتني من ان اعاملها أو أراقصها أو اهديها صورتي . هذه هي زوجتي بالذات التي أحدثكم عنها وهي الآن احب انسانة لي .. وقد جعلتني منذ راقصتها اعيش في نعيم هادىء كنت ابحث عنه منذ زمن ، ولم اعد اترك بيتي الا لوظيفتي ولم تعد تغادر البيت الا بمشيئتي لقد صارت انسانة أخرى .. لم تعد هاوية الرجال انما هي عاشقة رجل ترعى رضاه .

انني حين طلبت منها ان أراقصها ــ وكان ذلك منذ عامين ــ أمسكت بها بخشونة الرجولة .. وتفحصتها بنفس الخشونة . وما قصدي من كل ذلك الا لاثبت لها أن في حياتنا يوجد رجال تستطيع هي أن تتكيء على سواعدهم بطمانينة حالمة وكأن أن اتكات .. وكان ان طلبت ان اكون شريكها . ولم تذهب ليلتها الى بيتها كما لم اذهب الى بيتي الا ونحن على اشد ما نكون تفكيرا وامضينا اياما كانت تزورني فيها في بيتي ، او نجوب بعض الحدائق الناسمة ، تسعى لأن نقضي الساعات معا . وكانت في تلك الساعات تثبت لي انها نعم الزوجة .. غدا . ومرة ، في امسية هادئة حين كان صدرها الى صدري واناملها تعبث في شعري .. قالت لي :

ــ هل تثق بي وتتزوجني ؟ ثق انني ساكون نعم الزوجة لك . ربما تظنني عاهرة او عابثة ولكنني اقول بصدق .. ومن كل قلبي ولا اكتمك انني كنت أحاول في كل لقاء طلب ذلك منها وكنت في كل مرة اخشى ان تسخر مني الى انها لم تعتبرني الا كغيري من الرجال ، وستسامني يوما . ولما قالت هذه الجملة لي علمت تماما انني استطعت ان أخزن قلبها بين يدي وان أمتلكه . قلت لها : نعم .

قلت لها نعم لانني بحاجة الى زوجة تحبني لا الى زوجة احبها . كنت ابحث عن زوجة تحبني وتكون معي دائما لا عن امراة انا احبها لأسعى لارضائها . وكان ان حصل ذلك الزواج وكان ان انتقلت زوجتي الى امراة من نوع آخر . وقد شجعني الى الكتابة عنها أن أعلن للناس أن الحب سبائك من ذهب أحمر يحار الانسان اى سبيكة ينتقي .. وكثيرا ما حيل على بعضهم حمل السبائك فيبقى دون ذهب .. ــ او قل ــ دون حب ...

ماسح الاحذية

الشاعر الجزائري : حاج عمر
عربها ونظمها شعراً :علي حاج بكري

وسار الهوينا وحيدا وحيدا — على ثغره بسمة طافيه
صبي ينوء به حمله — ينادي انا ماسح الاحذيه
انا ماهر والحذاء العتيق — يعود جديدا بأصباغيه
يجوب الشوارع بح النداء — وما من مجيب بذي الناحيه

صبي تطلع نحو الحياة — تسيره نسمات القدر
ويبسم ان جئت او ان — بعدت كزهر اطل على المنحدر
وان عاد للبيت عادت به — ابتسامة طهر كضوء القمر
يرى أمه في انتظار المشوق — وفي قربها كم يطهب العمر

اتى امه حاملا وردة — كبسمته غضة اذ رنيا
اتته مكافأة للنشاط — لدى بائع الزهر طاب الجنى
وقال بها من نضار القلوب — نقاء كقلبك عذب المنى
هي السحر يا لجمال الزهور — يحاكي طهارة امي انا

واقبل ليل ونام الغلام — وراح بآماله يحلم
وقادوا له أمه الطبيب — وافقر بيت به ينعم
وهب وما من يجيب النداء — ولكن ربي به يعلم
فسالت دموع وذابت شموع — ووردته لم تعد تبسم

وجاء الصباح ونادته جارة
فخف الى حمله والديوك
فسار عساه يصيد زبونا
فيسطيع ان يشتري وردة

وقصت عليه حديثا صراح
تململ في قنها للصياح
ويسبق أخدانه للكفاح
تقبلها أمه في ارتياح

فنادى وضج ولا من يبالي
وسالت على خده دمعة
فهذا يجيء وذاك يروح
ضعيف ضعيف وعيش شقي

بصوت الصبي كافيا للشقاء
تخالطها قطرات السماء
وأين الذي يستجيب النداء
وأم تعاني ضروب الوناء

وطال الطريق وبانت له
واشرقت الشمس لما بدت
وشام بمفرقها وردة
فعاف النقود ونال الورود

فتاة تهادى بأبهى حلل
وبادلها نظرات الامل
وزادت به رغبات العمل
وادى مهمته في عجل

وخف الصبي الى أمه
رآها تململ في صبرها
وقالت تأخرت يا منيتي
وكادت تكلفني ناظري

رآها موسدة في السرير
تود لقاء الحبيب الصغير
وسالت دموعي كماء الغدير
فكفكف دمع الفؤاد الكبير

حياتي أمي لماذا البكاء
ففي عطرها نسمات الشفاء
فحبك لي مثل سحر الورود
وفي عطرها عطر مستقبل

اليك الورود التي تبتغين
وانت بنضرتها تنعمين
نقاء كأمي يسر العيون
فيا للجمال ويا للفتون

علي حاج بكري
مدير المركز الثقافي العربي باللاذقية

الجمهورية العربية المتحدة رمز للقومية العربية

بقلم : سليم محمد سوسي

تعريف الأمــــة :

مجموعة من الناس تضم الملايين من أبنـاء البشر لهـم تاريخ واحد ولغة واحدة وطبيعة جغرافية واحدة وآمال ومصالح واحدة .

بينما القومية هي شعور ابناء الامـة بأنهم ينتسبون الى أصل واحـد .

ليس تحديد القومية باللغـة الواحـدة او بالتاريخ أو بالدين او بالمصالح والمشاكل الواحدة وانما العامل الاساسي في القومية هو شعور ابناء الوطن كلهم بأنهم ينتسبـون الى أصل واحد هذا الشعور الذي لا يرجع في الاصـل الى ركن واحد من هذه الاركان التي ذكرتها وانما يرجع اليهـا جميعـاً .

وقلما توجد قومية بالعالم تتوفر فيها كل هذه الاسس مجتمعة بكاملها الا ان القومية العربية الممتدة من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي والتي تتكلم واحدة ولها تاريخ واحد واعمال ومصالح واحدة وطبيعة جغرافية واحـدة الى جانب شعور ابناء هذا الوطن بأنهم من اصل واحـد هو الاصل العربي لهذا كلـه توفرت فيها هـذه الاسس وكانت الصخراء في وجه المستعمر الغاشم الذي سيطـر حقبة من الزمـن مدتها اربعة قرون ونصف على هـذه الارض الطيبة الطاهرة الخصبة . لذلك لزم علينا النضال المستمر من اجل احياء الماضي ماضي اجدادنا العـرب الذين اناروا العالم بحضارتهم العمرانيـة والثقافيـة والعسكرية والذين أستطاعوا الوصول الى أواسط الصين واوربا ونشروا هناك حضـارة العرب ورسالة الاسـلام والتـاريخ خير دليل على ذلك .

فاذا ناضلنا من اجل احياء قوميتنا العربية معنى ذلك اننا نناضل من أجـل التحرر والوحـدة والاشتراكيـة العربية . ان من يدعو للقوميـة العربيـة ويبشر بهـا يدعو الى محاربة العبودية والاستعمار والتجزئة والظلم ويبشر في الوقت نفسه الى مقارعة الفقر والجهل والمرض والتفكك والانحراف والرجعية .

يبشر ويدعو أيها الاخوة الى الانسانية الصافية السمحاء التي وجدت ضمن القومية العربيـة وضمن الرسـالـة المحمدية ولأن قوميتنا ومبررات وجودنا تجعلنا لانستطيع ان نتصور أنها وجدت لتخاصم غيرهـا أو لكـي تثبـت وجودها ازاء قوميات أخرى .

ان القوميـة العربية تلتقي مع النزعات الانسانيـة في انبـل امانيها لان رسالتها رسـالة انسانيـة ... وان مايتوهمه البعض من أعداء القومية العربيـة من ان نزعتها غير انسانية التي تتمثل بكره العرب للاجنبي ليست الا نتيجة حتمية للعهود السوداء الطويلة التي عاشوهـا في ظل الاستعمار والكبت والعبودية .

لقد طغى الاستعمار على البلاد العربية وفرض التجزئة وحارب أمانيها القومية محاربة لا هوادة فيها ولا رحمـة ولم يكتف بذلك بل أقام في قلب الارض العربية الطاهرة دويلة مصطنعة زائفـة ، دويلـة الفسـق والالحاد وراح يغريها ويمدها بالايدي والمال والسـلاح ويدعمها سياسيا وعسكريا واقتصاديا ويحرضها في كل مناسبـة ويزيـن لهـا العدوان راميا مـن وراء ذلـك الى تمريـغ الكرامة العربية واذلال الابـاء العربي والنيل من القومية العربية ، هي دولة اسرائيل المزيفة .

ولكن ما ان بزغ فجر الجمهورية العربية المتحدة بوحدة مصر وسورية تحت راية قائدها ومنقذ كرامتها البطـل جمال عبد الناصر . هـذا الملهم الذي أنبتته ارض عربية ويجري في عروقـه دم عربي صـافي ، هذا الوحي الذي يشع النـور من عينيـه ، وصراحة على شفتيه ورحمـة في قلبه وبلسم في دمـه وثورة في خياله وسحـر فـي لسانه ورسـالة عربية خالدة في يمينه ، ذلك هـو القائد الظافر جمال عبد الناصر رائد القومية العربية ومحطـم الاقطاع والرجعية ، هذا القائد الذي اراد ان يجعل مـن

دول العرب الكثيرة دولة واحدة من المحيط الى الخليج هذا الرجل الذي يريد أن يعيد التاريخ . تاريخ العرب القديم الحافل بالحضارة والرقي والازدهار .

ولقد أعلن سيادة الرئيس الخالد مباديء رسالته صارخا في وجه المستعمر معلنا حياده الايجابي فتجاوبت أصداءها في سورية المناضلة وكانت الجمهورية العربية المتحدة نواة الوحدة الشاملة ولم تتجاوب هذه الصيحة في دمشق فقط بل رددها أحرار العرب في كل مكان فكانت ثورة لبنان على الظلم والطغيان والاستعمار وكانت ثورة ١٤ تموز الحقيقية بقيادة البطل عبد السلام محمد عارف .

لقد ظهرت هذه العناصر المجرمة عندما استفاق المارد العربي من غفوته محطما العناصر الشعوبية الشيوعية التي تريد جر بلادنا الى معسكر التبعية هذا المعسكر الذي ثبت بالارقام انه لا يمكن أن يقوم الا على القتل والتشريد والدم لما هو عليه من فساد وطغيان .

اخواني :

ان العراق الشقيقة عربية وستبقى أبدا عربية مهما حل بها من فظائع ومذابح ، ان احرار العراق يملأون السجون والمعتقلات وعلى أعواد المشانق ولا ذنب لهم الا أنهم عرب يريدون رفع راية القومية العربية عاليا . لا ذنب لهم الا انهم أحرارا يريدون ان يحرروا بلادهم من الطغمة الفاسدة المجرمة سفاكي الشعوب وقراصنة الغابات الا وهم الشيوعيون أعداء الحرية والسلام أعداء التحرر والانسانية .

كنا نسمع أيها الاخوة عن هولاكو وجنكيزخان والتتار وعن قتلهم لابناء العروبة لكي يطفئوا جزوة القومية العربية ولكن اعمال قاسم العراق رائد الشقاق والنفاق وباعث البعد والفراق ومنتهك الحرية والاخلاق لهي أكثر واكثر مما عمله هولاكو وجنكيز خان وشتان بين الطرفين اذ ان هولاكو ليس بعربي وجيشه بعيد عن العروبة اما قاسم العراق فهو يدعي العروبة ولكن العروبة منه بريئة ويدعي الاسلام والاسلام عنه بعيد .

هذه لمحة بسيطة مما تقاسيه القومية العربية في القطر الشقيق العراق الحبيب على أيدي الاستعمار الشرقي وقد قاست في الازمنة الماضية على أيدي الاستعمار الغربي ما يشبه هذا .

ولكن أيها الاخوة أن قوميتنا العربية التي انتصرت في جميع مراحلها فطردت المستعمر عن أرض الاقليم الجنوبي وعن أرض الاقليم الشمالي وعن أرض لبنان العزيزة وانهزمت الدولة الكبرى في معركة بور سعيد الخالدة وكونت نواة للوحدة هي الجمهورية العربية المتحدة هذه القومية المشعة لكفيلة بأن تعيد للعراق كرامته وان تحرره من اعداء الوطن وأعداء القومية العربية عناصر الفجور والفسق والالحاد عناصر الشيوعية التي أسفرت عن وجهها الوقح .

اخواني الاعزاء :

ليعلم المعسكر الشرقي كما علم المعسكر الغربي وليعلم الاتحاد السوفياتي كما علمت انكلترا وفرنسا وامريكا ولتعلم موسكو كما علمت لندن وواشنطن وباريس وليعلم عدو السلام وباعث الظلم والاجرام خروشوف كما علم ايدن ودلاس بأننا نحب الموت أكثر من حبنا للحياة وبأن الروح القومية العربية التي حاربنا بها الاستعمار الغربي سنحارب بأشد منها الاستعمار الشرقي المبني على اراقة الدماء والدمار وان الصخرة التي تحطمت عليها أطماع المستعمر ومؤامراته الدنيئة هي نفسها لا بل أقسى منها سيتحطم عليها الاستعمار الحالي المتمثل بالشيوعية الدولية الصهيونية . فالى الامام ياسيادة الرئيس ونحن جنود مخلصون في سبيل تحقيق اهدافك السامية ورسالتك العربية الخالدة . فالى الامام ايها القائد المظفر محطما أعداء الوحدة المباركة ، موحدا شمل العرب من المحيط الهادر الى الخليج الثائر ، وبذلك تعاد للعرب مكانتهم تحت الشمس كما كانت في الماضي .

جبلة ـ سليم محمد سوسي

واشرق جبار الكنانة



« الى رائد الثورة العربية الكبرى والى يومه يوم ٢٣ يوليو الخالد »

تفجر على هذي المرابع ياصخر ... فليس لماء المزن في ربنا خبر
تفجر ففي حد الشفار منابع ... تدل بها من خلف محنتها مصر
وخلف سعير القدس ليث مخدر ... يثور فلا غل هناك ولا خدر
تطلع من خلف البطاح وهاله ... على النيل أن تبدو الخيانة والغدر
وقلب رشاش الملوك ولم يكن ... مع المدفع الرشاش نفع ولا ضر
بقية عار من ملوك تدفقت ... بها نزوات العرش والعهر والسكر
فند عن الطوق الهزبر وجمعت ... رؤاه على الآمال آفاقها الخضر
واتلع من ربا فلسطين وارعوى ... يطالعه من كل زاوية ثأر
الى الثورة الخضراء تنحل فوقها ... طيوف لفاروق مزعزعة نكر
ويعنف بالنيل الزئير فتلتقي ... مع الثورة الخضراء درته البكر
واشرق جبار الكنانة والتقى ... على زهوات الفتح ناصر والنصر

* * *

تعالت ملوك السوء في مصر وانتشت ... لها في العراقين الاواصر والصهر
وجن جنون الحاكمين بأمرهم ... فما كان الا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وان يرى ... على كل أفق من بقيتهم اصر
لك الله اعصارا يزمجر مرعدا ... فلا حاجز يبدو هناك ولا ستر
تمشت مع الثورات خود عروبتي ... وزين من تفاحها اللهب الحر
ففي جبل الاهراس جن سعيرها ... وفي عدن الخضراء يصطفق الجمر
وأغرقت الثورات أرضي فأصبحت ... يحركها من كل زاوية صقر
على اللهب الفوار تمتد قبضتي ... وفي كفها الصيد المجنح والذر
وللهب المراع باب تناثرت ... عليه الحلوف السود والعسكر المجر
يلملم أشتات الملوك رماده ... وتشمخ فوق اللهبة الاوجه النضر
وما احترقت في النار الا خنافس ... جياع ، وجل الباز ، واعتنف النسر
حنانك شعبي كل عز ومنعة ... لكفك اما مس عزتك الضر
أبيا أبيا في الرمال ولم تكن ... لتخشى جنون الليل آسادك العفر
أبيت لعذراء العروبة أن يرى ... لها من ملوك العجمة الزوج والمهر
وكان على ذي قار يوم تركته ... وفي كل أفق من معالمه خبر
متى كان للعلج الزنيم تطلع ؟ ... لحرقة ، والنعمان من خلفها زخر

وللغادة السمراء موطن نجمة — … يقصر حتى عن مداركها الفكر
وما انشق هـذا الفجر فوق مرابعي … وباديتي الا وفـي نفسـه أمـر
لنـا شرفة الجوزاء ينسج خلفهـا … حنين النجوم الزهر ، والانجم الزهر
وللشمس من خلفي ازورار ولوعة … يلذعهـا سـر ويحرقهـا سـر
تمرد في ذي قـار فجر على اللظى … واتلـع فوق النيـل كالمهب الفجـر
وفرت أساطيل الغـزاة كـأنها … شياه تلاقي خلفهـا الرعب والذعر
رويدك يا اليازبيت ألـم يحـن … حساب الشعوب الحر والمنطق الوعر
لقـد بدل التـاريخ وانشق ليلـه … عن الفجر والنعمى فهل يخطيء الفجر
اطلت على أرض القنال قوائلي … وأسـفر عن جوديها المـد والجزر
على سفحهـا يفتـر شعبي ويلتقي … بضحكته أعوال شعبـك والخسـر
وفي سفحها الدامي يزمجر نـاصر … فتصعق اوروبـا ويصطخب البحـر
ويمشي الى (جانبرت) جول كأنها … هبـاء تولتـه عواصفنا النكـر
على الشهب السمراء بعض وبعضها … بقعر المحيط الحر لـو نطق القعـر

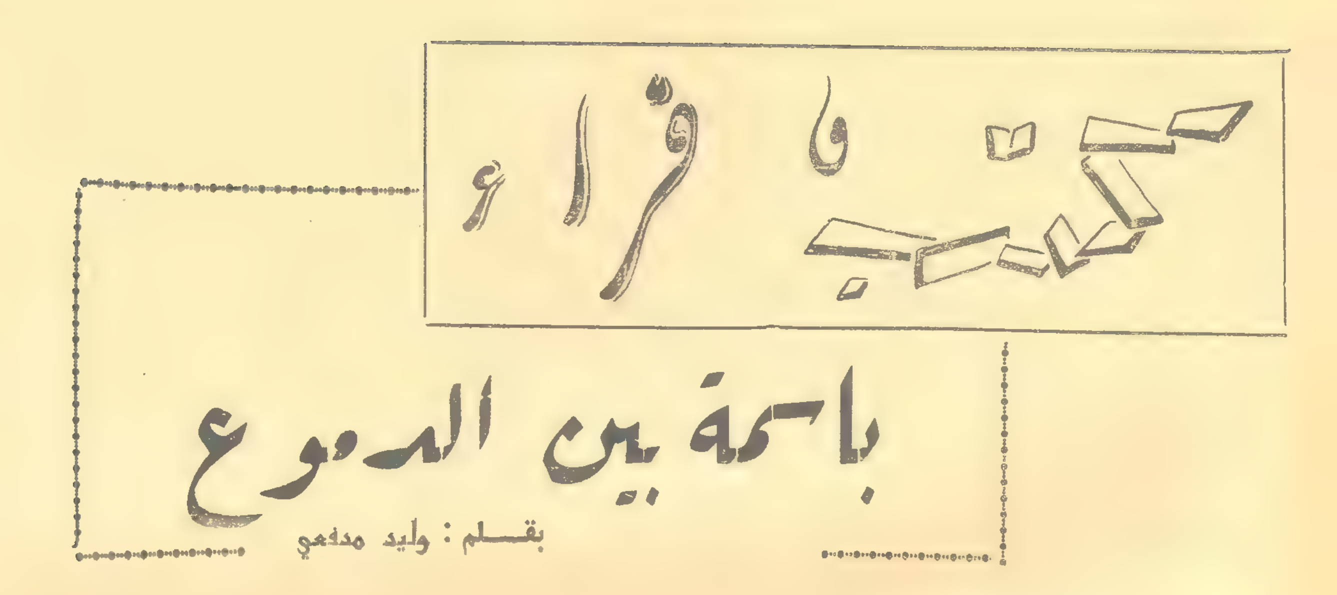
* * *

ولكن بغـداد الحبيبـة لـم يـزل … يرنحهـا من كـل منتهـز وزر
غدا نعصر الجلى ونسقي سمومهـا … لعبـد زنيـم مـا لأوبته عـذر
تجنى على أرض السـلام ولم يكن … ليهمس الا خانـه النطـق والفكر
واسـلم شعبي للذئاب فلم يكـن … ليشبع نـاب من دماهم ولا ظفـر
فمن هتـك أعراض الى سحب فتية … يضيق بهـم ذرع الرصافة والجسر
متى كـان يا عبـد الكريم غلامنـا … يجر وتسبى في الحمى الخرد البكر
متى كـان للنعمان هتـك بناتـه … وكان فداهـا الروح والاهـل والعمر
فويحك لو ثار الفـرات فقـد مشت … وراء ابن هـاني غيرة العرض والكبر
فويحـك لو ثار الفرات فقد علت … هتافاته الله أكبر ... يـا ثـأر
غدا يا عميل الشرق والغرب نلتقي … فتأخذك الاضواء والصيحة النكر
غدا ينجلي الاعصـار عن كل مفرق … فلا أحمر يبـدو هنـاك ولا حمـر
تذوب حشود الشرق والغرب بعدما … تلاحق على سـيف العروبة وازوروا
فكـم حاولت اليازبيت مكيدة … وما كـان يغلو التبر لو نفق الصفر
وما كـان ليث الانكليز لينتهـي … الى فأرة لـو روع العـرب الزأر
أميطوا أميطوا عن رقاكم فانهـا … مخاريق اطفـال يلوحها غـر
وردوا الـى الـدب الحليف عنانـه … فليس لذاك الدب في أرضنا وكـر

* * *

هلى رمحنا يساقط الغي والرقى … وفي سيفنا يزهو الفتوح ويخضـر
وما علـم الباغون في الارض اننـا … الى سيفنـا الريان يحتكم الدهـر
(اعز بني الدنيا واعلى ذوي العـلا … واكرم من فوق التراب ولا فخر)

الدريكش — نجم الدين الصالح



انني أجد مناسبا قبلما أذهب بعيدا في مناقشة أية مرحلة من مراحل هذا العمل الروائي ان ابحث في الزمن الذي جرت ضمنه حوادث الرواية .

يحدد الزمن في « باسمة بين الدموع » عبارتان وردت أولاهما في الفصل الاول عند تقديم شخصية البطل وهي « كان الاستاذ عطا الله قد بلغ الثانية والثلاثين من عمره أو أنه في سبيل بلوغها » ووردت العبارة الثانية في المدخل قبل الفصل الاول ضمن سؤال استفهامي « العمر ؟ .. أربع وثلاثون سنة » . ولما كان المدخل في ذاته ليس سوى حادثة ستأتي في نهاية القصة وليس في أثرها من الحوادث الا النذر اليسير الذي يشغل شهرا تقريبا اذن نستنتج ان المدى الزمني في « باسمة بين الدموع » هو عامان وبضعة اشهر بدقة تامة .

نتساءل .. هل استطاع المؤلف ان يحقق توافقا بين وقع الحوادث والايقاع الزمني ؟ ..

ان من عادة بطل القصة ان يقضي شهرين أو ثلاثة من كل سنة في مسقط رأسه من أجل علاقاته المادية حيث تقوم ممتلكاته ومن أجل نفوذه الانتخابي حيث ان المنطقة دائرة ترشيحه .

« أما كان عهدك أن لاتغيب أكثر من شهرين ، هاقد مضى شهران وتلتهما عشرة أيام » . وفي عبارة ثانية « تلاشى من نفسه آخر ما بقي من انطباعات اقامته طيلة شهرين أو ثلاثة في بلدته الصغيرة البعيدة » .

وأما ما تبقى من السنة فكان يقضيه في دمشق متنقلا بين مكتب صديقه المحامي الاستاذ عبد الحليم لان سليمان عطا الله شريك في الربح دون اشراكه في الاسم وبين مكتب الحزب الذي انتسب اليه بعد سقوطه في الانتخابات فهو يلقي المحاضرات في اجتماعاته ويكتب مقالات وافتتاحيات في جريدة الحزب الرسمية . ثم النادي الذي يسهر فيه يومين من كل أسبوع والمقهى الصغير الذي يشرب فيه قهوة الصباح وعيادة صديقه الدكتور الياس وبيت الاستاذ عبد الحليم .

١ ـ بدأت القصة قبل عودته الى ضيعته بأيام قليلة ولما كان الشهران اللذان يقضيهما في مسقط رأسه هما شهرا تموز وآب وقد تطول اقامته حتى جزء من ايلول فالقصة قد بدأت في نهاية حزيران واستغرق الفصل الاول يومين فقط من السعة الزمنية للرواية .

٢ ـ عرض الفصل الثاني ان سليمان عاد من ضيعته قبل انقضاء الشهرين بسبب الازمة الوزارية في العاصمة والاحداث التي تمس الحزب وتقتضي وجوده في دمشق وقد استغرق هذا الفصل عشرة أيام كما يتبين من العبارة التالية « لم يعد سليمان الى بلده وكان يجدر به أن يعود اليه بعد عشرة أيام من قدومه الى دمشق » .

٣ ـ ابتدأ الفصل الثالث في أوائل الصيف كما يظهر من العبارة التالية « وهكذا تخلف سليمان عن العودة وبدأ موسم عمله في دمشق قبل موعده من كل عام » ويقول بعد شهرين من الفصل الثالث « مع انقضاء الصيف وحلول الخريف » ثم ينتهي هذا الفصل نفسه باستلقاء سليمان وباسمة في سرير واحد في فندق من فنادق بيروت .

لقد حاولت أن أحدد التاريخ بالضبط فلم أجد الا عبارة واحدة « وكان على اليمين حيث وقفت سيارتهما حرج من الصنوبر تناثرت في أرجائه زمر من المتنزهين » .

أي ان الوقت في فصل الخريف نفسه وهكذا يكون الفصل الثالث قد استغرق من السعة الزمانية نحو أربعة اشهر شغلت منه المشاهد الثلاثة الاخيرة اقل من اسبوع بينما شغل المشهدان المختصران الاولان معظم الوقت في صفحات قليلة وبعبارات تجريدية سريعة .

٤ ـ حدث قطع اثر الفصل الثالث أوقف انسياب الحوادث وتم الانتقال سريعا الى الفصل الرابع الذي بدأ برسالة تحمل تاريخا محددا ـ تموز ـ ان سليمان في ضيعته يتلقى رسائل من حبيبته باسمة ويظهر من رسائل باسمة اليه انه كان على علاقة مستمرة معها طوال اقامته في دمشق حيث كانت تتردد على شقته باستمرار ولقد قدم الفصل الرابع عرضا للاشهر التي مضت وقفز المؤلف عنها ولم يوردها الا بعبارة بسيطة « ذكريات الشهور الاخيرة التي امتلأت بلقاءاتهما ، باسمة وهو ، في شقته في عين الكرش ، بأحاديثهما في سهراته مع الدكتور الياس في بيتهما في المهاجرين ، بنقاشهما الدائم في فلسفة السياسة وواقعها ومستقبلها » واستغرق الفصل الرابع مدة اقامته في الضيعة وحوى الى جانب ذلك عرضا للمنازعات السياسية في المناطق الصغيرة .

٥ ـ عاد الاستاذ سليمان عطا الله الى دمشق في ايلول وجرت مقابلات بينه وبين باسمة ثم حضر الاستاذ سليمان وصديقه الدكتور الياس ندوة ادبية والقيا فيها محاضرتين كل منهما حسب اختصاصه . وتخاصم اثر ذلك مع باسمة وتشير كل القرائن ان هذه الحوادث المغفلة من التاريخ يجب ان تكون في مطلع السنة الدراسية أي في كانون اول أو كانون ثاني على أقصى تقدير .

٦ ـ يأتي الفصل السادس والاخير متضمنا المدخل الذي قدم في أول الرواية لاحتوائه على ـ فعل متحرك عنيفا وهو الاصطدام ـ وعلى ـ جلسة غرامية جذابة ـ . وتتابع انسياب الحوادث مع الزمن فيظهر ان سليمان عائد آنيا من ضيعته ويستغرق هذا الفصل حوالي شهرا واحدا بعد انقطاع عشرة اشهر وقفزة زمنية واسعة جدا ـ في حين ان صورتها وحكاياتها والاخيلة المتعلقة به وبها لم تقل ملازمة له طيلة اقامته في بلده هذين الشهرين الاخيرين عنها في الشهور التي سبقتها في دمشق ـ .

اهمل الاستاذ عبد السلام العجيلي التأريخ الزمني كما يحدث عن عرض قصة سينمائية حيث يهتم السيناريت بمتابعة الحادثة والقطع أكثر من اهتمامه بالسرعة الزمنية فخسرت الرواية ركنا أساسيا من اركان واقعيتها . فالزمن من الامور الخفية التي ترفع الاثر الادبي أو تقلبه الى حلم ليلة مسهدة عندما يغفل المؤلف عن انسيابه ويدفعه كتلا متراصة بعبارات مجردة ويبقيه دون حدودمعلومة .

واتبع الاستاذ العجيلي في سرد روايته طريقة الرجوع في التسلسل للالتقاء مع نقطة الابتداء فبعد ما قدم المأخذ من صلب الراوية عاد فعرض لنا ما تم قبله من مجريات الكنه بعدما بلغ نقطة الالتقاء رجع ثانية الى مدى يوم مسبق وحدثنا عما تم له في بيروت . بينما تفترض الطريقة التي سلكها ان يورد ما تم من مجريات بكاملها قبل الوصول الى نقطة الالتقاء .

ابتدات القصة في نهاية حزيران بينما جاء وصف الملابس : « كانت ترتدي معطفا صوفيا خفيف الخضرة به نثرات من خيوط حمر » ـ فان معطفيهما من الصوف نفسه وان كان رداء الصغيرة الاحمر اللون به نثرات من خيوط خضر ـ ثم يعود يتحدث عن ذات المعطف فيصفه « قامتها الطويلة وقدها النحيل مجردين من الرداء الاحمر ذي الخطوط الخطر » . وبديهي ان المؤلف قدسها فقدم خطوط بدلا من نثرات خضر .

قال المؤلف في الفصل السادس ان ستة اشهر قد مرت دون رؤية باسمة . ويصف المؤلف في المدخل يوم شتاء بامطاره الغزيرة وسحبه الداكنة وسمائه المدلهمة بينما يدل تتبع الزمن انه عائد من ضيعته متأخرا شهرا واحدا بعدما قضى فيها شهرين اي انه في نهاية ايلول او في اول تشرين اول اي ان طقس بيروت في اجمل حالاته .

ويقول المؤلف : « وفي خلال الشهور الستة جرت امور كثيرة وخطيرة في حياة سليمان فان المؤلف بقفزته الواسعة فوق الشهور الستة لم يذكرها ابدا واذا حاولنا تقصيها بين السطور نجد ان المؤلف نفسه يعترف ان حياة سليمان لم يكن فيها أدنى خطورة « لقد وصفت باسمة حياته التي عاد اليها منذ هجرته وقاطعها اجمل وصف في كلمات قليلة : نشاط سياسي هزيل في الحزب وفي جريدته ، عمل مغمور في مكتب الاستاذ عبد الحليم ؛ علاقة عاطفية مضحكة بزوجة الاستاذ عبد الحليم ، حب جسدي مبتذل لاحدى راقصات الملاهي ! .. يا لها من حياة تافهة لانسان مثل سليمان . » ان المؤلف نفسه يصر على تفاهة تلك الحياة ولا ادري لماذا اورد العبار السابقة .

اذا شبهنا الشريط الزمني بحبل عقد منظوم تقو الحوادث مقام جواهره فاننا نجد ان المدى الزمني في ـ باسمة بين الدموع ـ عقد غير متصل الحلقات انمـ

يحوي على حبات متناثرة متباعدة بعضها عن بعض .

اما في الكلام عن شصيات الرواية فأول شخصية تطالعنا هي شخصية المحامي سليمان عطا الله وهي ليست شخصية عادية بل تمتاز بصفات كثيرة فمن طبائعها انها لا تستجيب للمؤثر الخارجي سريعاً كما جاء في عبارة للمؤلف : « ان كل صدمة تصيبه تبلد اعصابه الى أمد ثم لا تلبث بعد ذلك الامد ان تنفجر فيها فتترك آثارا مضاعفة » .

ان رباطة جأشه لا تلبث الا الى لحظة او ساعة او يوم معين ثم يجد نفسه فجأة وقد ملك الحادث وعيه وسيطر على مشاعره واخذ يدق على اعصابه حتى ليعيش هواه في كل لحظة من لحظات يومه ولايام كثيرة .

ويعرض لنا المؤلف في فقرة ثانية طبعاً مناقضاً لهذا الطبع عند سليمان فيقول : « ان من عادة سليمان ان يتلقى ما يتلقاه الآخرون من صدمات باحتمال غريب واحيانا بضحكة مرحة . لانه كان يعالج هذه الصدمات بدوائين ـ بالتفلسف وبالسخرية ـ

ولعل من ابرز ما ظهر من طبائعه وكان منسجما مع تصرفه اهتمامه بالمشاغل الجنسية واما خلاف ذلك فكانت الشخصية حائرة لا تمثل الضياع الذي أراده المؤلف في الفصول الاخيرة .

ونلاحظ في شخصية سليمان عطا الله انه مثقف كبير ومحام كبير واحد قادة حزب اشتراكي عقائدي وذو املاك واسعة في ضيعته اي انه قد يتيسر له ما لم يتيسر الا لعدد ضئيل جدا من الافراد فقلما يجتمع لشخص واحد من الامكانيات ما نراه عند سليمان الثقافة الواسعة وسعة العيش والمركز المرموق .

وتأتي باسمة انها امرأة قوية تفهم الحب على انه بذل وعطاء وتضحية وتؤمن بالحب الخلاق لكنها ذلك لايمنعها من الاستسلام الجسدي كحاجة ملحة وهي ذات افكار تحررية وتنتمي الى حزب سليمان نفسه ومثقفة وذكية وجمالها فوق المتوسط وذات ذوق حسن ورشيقة ايضا .

اما أختها هيام فكانت صبية بريئة هادئة مرهفة الاحساس .

ومن الشخصيات التي قدمها المؤلف شخصية الدكتور الياس صديق سليمان لكن الغريب في هذه الشخصية كونها موجودة للنقاش وعرض آراء سليمان بواسطة الحوار الجدلي ، انها تحضر وتغيب حسب رغبات بطل القصة حتى ليخيل للقاريء انها ليست من لحم ودم انما هي تجريد من شخصية سليمان نفسه موضوعة في جانبه لتساعده عند الضرورة .

لقد احتلت شخصية الدكتور الياس مجالا فسيحا من الصفحات لكنها لم تحتل قلب قلب القاريء لحظة واحدة لقد كانت دويا كالطيف الذي لا وجود له .

واذا قارنا بين شخصية الدكتور الياس وشخصية حسين أبو عمشه القروي نجد في شخصية هذا الاخير من الحرارة والتألق أكثر مما في شخصية الدكتور الياس.

لقد استطاع عبد السلام العجيلي ان يرسم لنا شخصية باسمة وحسين ابو عمشة رسما دقيقا استطعنا ان نعيش معه في كل مواقفه وما عدا ذلك بقيت ملامح الشخصيات الاخرى ضائعة او متناقضة .

جرت حوادث الرواية في عدة اماكن أعطانا المؤلف فكرة عنها بوصفها بدقة كمنزل باسمة وفندق بيروت وغيره لكنه اهمل اماكن اخرى كان البطل يرتادها ويقضي قسماً كبيرا من وقته فيها فهو يذهب الى النادي مرتين في الاسبوع ويتناول قهوة الصباح في مقهى عام ويذهب الى مكتب المحامي عبد الحليم ثم ان كل هذه الاماكن وأجوائها لم ترد في الرواية ولم توصف بقليل او كثير وكذلك كان الامر مع صديقه وشريكه عبد الحليم اننا نحس بوجوده ولكننا لا نراه يعيش في واحد من الاماكن وكأنه غير موجود .

لقد ظلت الرواية تتتابع في أماكنها منفصلة عن الاقليم الا اذا استثنينا وصف المطر في طريق عودته ووصف حالة السماء في الفندق ولا يوجد ما يعطي الاقليم في بقية المناطق رغم ان للاقليم والجو العام تأثير كبير في شحن الحادثة بمزيد من المؤثرات فالاقليم من الاسباب الخفية ايضا التي تؤثر على عاداتنا وطباعنا وتجعلنا نتصرف بمزيد من الشهوة أو بقليل من الهياج .

عرضت الرواية مجموعة من الافكار والآراء والنظريات كان منها ما هو منسجم مع سياق القصة ومعقول ان يدور نقاش حوله وكان منها ما هو مفتعل لعل القصد منه املاء الصفحات او التدليل على معرفة الكاتب الغزيرة في المواضيع الطبية العلمية . ان التحدث بعشرات الصفحات عن طرق معالجة السل وطريقة التجبير ومواضيع علمية عديدة قد ابعدت الرواية في مرات كثيرة عن قيمتها كعمل ادبي فني ودفعتها نحو الكتب المقررة في كلية الطب بينما كان النقاش حول اشتراك الحزب في الحكم او عدم اشتراكه والنقاش حول الحب

والقضايا الجنسية وما شابه ذلك من المواضيع المنسابة مع سياق الرواية العام .

لقد حدث تناقض فكري في التحليل عندما وصف خلواتهما قبل سفره قائلا : « كان الجسد يلهيهما عن النفس والعناق يشغلهما عن الاحاديث » ثم يقول : «لقد ظلت من تلك الرسائل بقايا مسائل معلقة كان سليمان يتوق الى استئناف الحديث في موضوعها .. وكان ذلك ممكنا لو ان لقاءهما الاول بعد الفراق الطويل كان استمرارا للقاءات السابقة قبل ان يترك سليمان دمشق الى بلدته ... ولكن العلاقة بينه وبين باسمة قد تطورت تطورا جديدا ... لقد غدت باسمة جسدا كلها في هذا اللقاء . »

تعتمد الرواية في قسمها الاخير على جهل أخت باسمة العلاقة بين باسمة وسليمان بينما يقول المؤلف العبارة التالية « لم يكن يهم باسمة لو ظهر حبهما سافرا أمام أختها هيام وامام الدكتور الياس وامام اهلها والناس جميعا » .

ان هيام تقبل في ختام الرواية بكلمة بسيطة ان اختها لم تكن على علاقة بسليمان ويصبح سهلا ان يتزوج سليمان من هيام بينما ترحل باسمة الى الكويت .

لقد عرضت الرواية نفسها خلال مناقشة مقومات الرواية التي ليست سوى حياة انسان خلال سنتين لا يؤمن بالحب لكنه فجأة يجد نفسه قد أحب فعلا اخت عشيقته ، تلك العشيقة التي كانت سميرة لياليه لفترة طويلة .

لقد كانت الرواية من هذه الوجهة تكرارا لعدد كبير من الروايات لكن الجديد في باسمة بين الدموع الاغناء الذي استطاع المؤلف ان يعرضه بين الحوادث فيجعل منها رواية بعيدة الشبه عن أية رواية ثانية تماثلها في الخط العام .

كان الاسلوب رائعا في باسمة بين الدموع وكانت قفزات شعرية عديدة تملأ الصفحات لعل اجملها « انني أعرف في جسدك سبع شامات تدخلين بها الجنة دون حساب ... أعدها لك ؟ »

ولا يؤخذ على الالفاظ الا ما ندر من الالفاظ العلمية التي يصعب فهمها او الجافة قطعا « كتضاريس وقطع زائد ومرتسم » .

حبي في الستين ..

الهبت في الستين حبي ، وبعثت من مثواه قلبي
اتراك كنت صدى المسيح مرددا في عرض دربي
يا آية تستدرج الارواح من آيات ربي
ردي علي حلاوة الامل المغرر بي وحسبي

يا للرصانة والوقار لتوبتي وأوان نسكي
من للتغضن والمشيب وعبرة الستين منك
ضاحكتي قلبي بالاماني واليقين عليه يبكي
هيهات يا نفسي مضى عرسي فخلي الحب عنك

بل امضي واستغرقي في الحب وافني في الجمال
وتزودي ما اسطعت من متع الحقيقة والخيال
ان الجمال وحبه برقيق شعري أوحيا لي
لولا عيون الحور من للشعر بالسحر الحلال

ان يعزلوني في الجمال وحبه فالشعر عاذر
لا الشعر يكفر بالجمال ولا الجمال له بكافر
فالشعر وحي خواطر الصور الجميلة في الخواطر
وخواطر الصور الجميلة لا تعيش بغير شاعر

اللاذقية ــ رشاد رويحة

لقد عرفنا الاستاذ عبد السلام العجيلي كاتبا متفوقا في مجال القصة القصيرة لكن روايته الطويلة الاولى لم تأت كما كان مقدر لها ولعل ذلك كونها محاولة أولى ستسلس القياد في المستقبل القريب .

دمشق ــ وليد مدفعي

سنرجع .. لن تعيرنا !

◆◆◆ • • • ◆◆◆

« يوم أنشدها الشاعر ، في بونس آيرس ، قبل عودته ...
جرحت دموع الشوق الف وجنة ، وخضبت آهات الحنين قلوبا ..
كلها لهفة ، وحبا ، وأملا .. »

غدا،والعطرفواح .. يروي لهفةالزمن
سيحملني النسيم الحلو ، سكرانا..
الى وطـــني !
الى أرض البطولات
وفردوس العطاءات
وينبوع الكرامات
وتعرفنــي
دروب الكرم والخيمه
وفي رأد الضحى غيمه
وفي ليل الهوى نجمه

*

غدا ، ان بشروا البيــدر
وسهرات ، لنا فيــه
أيذكر « ولفــه » الاسمر
وفي سمع الدجى اللهفان !
دفق من أغانيــه ..
وهــل يسلو
حبيبا ، ما سـلا يوما ..
ليـاليــه !

غدا ، والعطر فواح ..
يدغدغ بسمة الدنيا !
سيرجع بلبل غابا

*

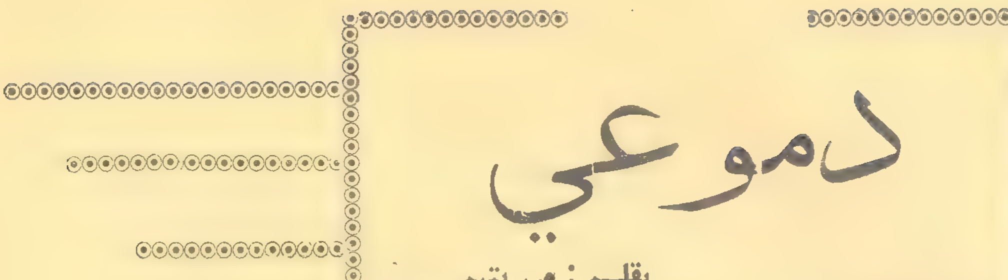
الى روضــه ..
وخلف بعده أهلا، وخلانا، واصحابا ..
وملء فؤاده شوق
الى ارضــه ..
وفي أجواء اوطانــه
صدى انغامــه الولهى ..
والحانــه
ترف على سنا ايمائه .. الرؤيا
وتهفو للعشايا الخضر !
آه الأوف ، والموال ، والليـا .
سيرجع ، ينثر الآهات ..
لهفا ــ والهوى مجنون ــ
سحريـا ..
سنرجع ، لن تعيرنا .. غدا
أنـا متاريـك ! !

ولا وطن لنا حلو ..
توشي جبهة الجوزاء !
نجماتــه ..
وفي ثغر المدى، ابـدا .. رؤى العلياء !
بسماتــه ..
سنرجع ننسل الاضواء من آماد احداقه
ونسكر صحوة الاجيال من أطياب آفاقه

*

سنرجع ، لن تعيرنا غدًا ..
أنـا هجرنـاه !
ولـو تدري ...
بأنا ما تركنـاه
ولكنا .. عبدناه
وفي اعماقنا الولهى .. حملناه
سنرجع ، ليتها عرفت
بأن الارض .. لولاه
صحارى .. عافها اللـه .
وملت منها ... دنيـاه
سنرجع ، فلتعيرنا بأنا ما .. نسيناه

دمشق : جورج سالم سيف



دموعي

بقلم : مي يتيم

دموعي .. عاشق لا يعرف الملـل
يأتي مع المســاء
كالقــــدر
يمسح آثام النهــار
ويبــاركني

* * *

في الصبـــاح
يولد حقدي وينمو
رويدا .. رويدا طول النهار
من سلوك التافهين
واحاديث الضائعين
من ظلـم الحيــاة
لآلام البشر

* * *

وانا فتاة بلا ضحكات
أشعر بالغصة .. بالاختناق
أنادي كبريائي :
دموعي .. قفي !
فتنقلب الى ضحكات
تجرح صدري .. تمزق اضلعي
وفي المساء ..
تسيل دموعي .. تلثم جراحي
تطهرني
فأغدو بلون الدموع نقــاء .

* * *

اصدقائي يأتون الى
حاملين احزانهم
ينثرونها في قلبي ..
.. احنــو عليهم
كــأم
اقبل آلامهــم
ابعث فيهم الامل وحب الحياة
وعند المســاء ...
تغني دموعي صلاة لربي
تفضح شقائي
تحمل رجائي
من أجلهــم ..
من أجل الاصدقاء
.. واذكره كل صباح
يذكرني الجمال والعشب الندي
ذاك البعيد .. البعيد
فيخفق قلبي التيــاعــاً
وأخفي دموعي حيــاء

* * *

وحين يأتي المســاء
تسيل دموعي ..
تندي وســادي
تنــادي :
حبيبي .. حبيبي
وأفنى بكــاء

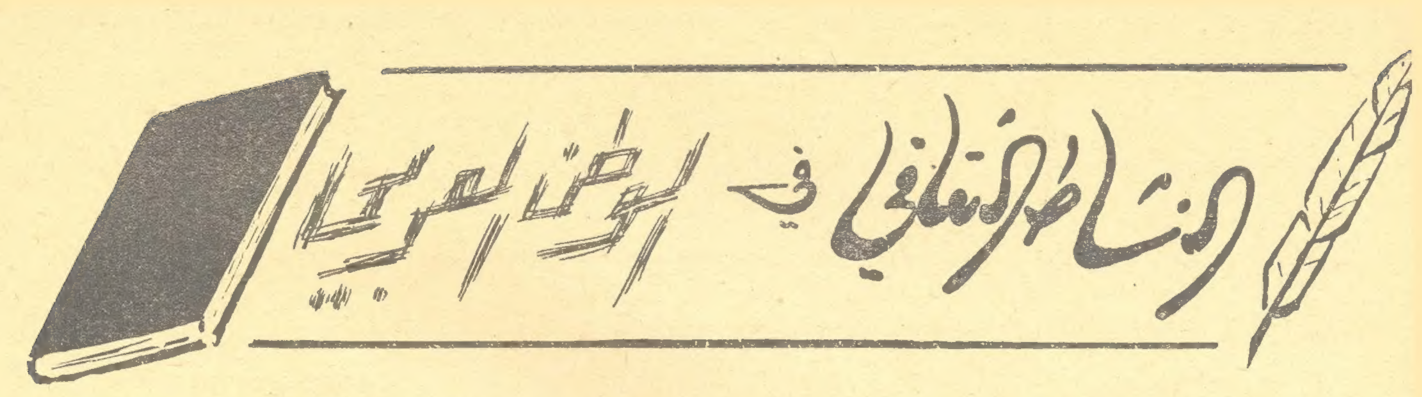
* * *

دموعي .. قــدر
تطاردني
كلعنة ليس منها مفر
دموعي : تحجري !
أو
فلأكن أنــا الحجر .. !

على ضفة شفة

غــدا يزحف الســأم
الى قلب كـل زهرة
فيبلــل تويجهــا بالنعاس
ويجثم النهــار المحتضر
على حافــة اللجج الاثيرية ..
كتموجات مسترخية فيهاالفشيء.!
تتراكض وراءها أفكاري ،
ولا تدركهــا .. أو تمسها ..
ترى .. ما أقسى سرك ،
الذي احتجب ..
على سـطح موهن بالدموع ..
منـذ زمـن ..
والعاصفة تبلل شفتيـك
تقتلـع الدمـوع
ولكنها .. لا تنفض ذراها
بل تستبين للاعين ..
كخيالات زائلــة
مغلفة .. بدفقة ضباب .. !
حين يمتد الاثير ،
ليصبح تذكارا ..
أتســاءل .. ؟
من أين تعروك هذه الحيرة ،
العارية .. كأشجار الشتاء ..!!..
أيتها الفسقية الهاربة من لا شيء..
من لا شيء البتــة .. !
ان طريقـك المجتاز
الغميس بنـور الفجر ،
لا يصلح لغير سـفر ،
لا يعـاد أبـدا .. !!!

حلب ـ فاروق مرعشي



* يزور لبنان اليوم شكر الله نصار الشاعر المصري ومترجم اليوت الى العربية فاحتفل بعض الشعراء بتكريمه بحفلة كبرى .

* نقل رشيد شقير الى العربية سيرة رئيس حكومة غانا كوامي نكروما وقد سبق ان ترجم هذا الكتاب الى أغلب اللغات العالمية الحية .

* وصل الى بيروت القاص المصري المعروف يوسف السباعي وذلك للاشراف على طبع رواية جديدة له .

* يعد الشاعر اللبناني الياس جبيلي ديوانا شعريا على وزن خاص مقتبس عن الطريقة الفرنسية من حيث التفاعيل .

* يشرف عمر أبو ريشة على طبع ديوان جديد له في بيروت وسوف يصدر الديوان قريبا جدا الى السوق .

* انجز فرج الله الحايك روايته الفرنسية التي عنوانها « الصليب والهلال » .

* ستظهر في أوائل الخريف في بيروت مجموعة لفيلسوف الفريكة بعنوان « رسائل امين الريحاني » .

* تعد نور سلمان مجموعة من الخواطر الوجدانية ستظهر في كتاب مستقل كما أنجز خليل سركيس معظم كتابه الجديد الذي يشتمل على اساطير رائعة المغازي .

* أحدث الكتاب الذي أصدره يوسف السودا ببيروت حول أحرفية اللغة العربية ضجة كبرى في لبنان وقريبا يجتمع بعض الادباء واللغويين لدرس التقارير التي وضعت حول « أحرفية السودا » من خلال مناقشاتها ونقدها .

* يظهر ان بعض المسؤولين في بلدية بيروت بدأوا يفكرون جديا بانشاء جائزة ادبية تمنح سنويا باسم بلدية بيروت .

* اتفق جبرا ابراهيم جبرا مع دار النشر الانكليزية الكبرى هايمن على نشر رواية له بالانكليزية عنوانها : « مطاردون في الشارع »

* تعد السيدة عائدة ليكي ارملة الشاعر المرحوم صلاح ليكي كتابا تتناول فيه سيرة زوجها في أعمق صميماتها.

* توفي في بيروت الشاعر عبد الله غانم . والشاعر له عدة مؤلفات منها مسرحية «شيطان البرج» و «جبل النساك» و «بعد الخطيئة» وكتاب «الاجيال» وله ديوان شعر فصيح «فوق الضباب» كما اصدر من الشعر العامي ديوان «العندليب» .

* علق احد كبار الادباء واللغويين اللبنانيين بعد مصرع نعيم مغبغب وتوتر الحالة في لبنان علق بقوله : « .. لم يبق شيء من لبنان غير فيروز والعرق ... »

* صدرت في بيروت مجموعة شعرية لاسبر عيتد بعنوان « خواطر وخواطر » .

النشاط الثقافي في الغرب

* توفي الكاتب المسرحي جون شور عن ٣٥ عاماً . أشهر مسرحياته « المدينة الذهبية » وقد مثلت هذه المسرحية الموسيقية على مسارح لندن تسع سنوات .

* لا تزال رواية « لوليتا » التي كتبها نوبوكوف موضوع تعليقات الصحف الادبية في العالم . ومعروف ان بطل الرواية وهو في الخامسة والاربعين من عمره يعشق فتاة في الثانية عشرة ويضطر للوصول اليها للاقتران بأمها .

* قال اندريه مورا ان الادب مستقل عن الحياة ولا ينبغي ان يكون نسخة طبق الاصل عنها بل يجب ان يحور مشاهدها حسب مقتضياته .

* منحت جمعية اهل القلم في باريس عدة جوائز تبلغ كل منها مئة الف فرنك وقد نال هذه الجوائز جول برتو على مجموع آثاره وبول تيلار على قصته « الفضيحة » المخصصة للروائيين الشباب .

* منحت اخيرا احدى اشهر الجوائز الفنية في باريس وهي جائزة النقد نالتها فنانة تدعى (هيلين نوفو) ونال الجائزة الثانية فنان شاب يدعى (غاشيه) ويعرض الفنان لوحاتهما حتى آخر تموز الجاري في رواق سان بلاسيد الباريسي مع لوحات اخرى لفنانين اختارتهم لجنة محكمة من بين فناني فرنسا المعاصرين .

* نشرت دار (فلاماريون) كتابا لجنفيف سيريفيل بعنوان ساشا غيتري ، زوجي ، وقد جمعت في كتابها مجموعة من اللوحات التي تصور بعض مظاهر ساشا غيتري الحميمة ورسائل واشعار لم تنشر له قبل اليوم ويظهر الممثل في صفحات الكتاب في احدى مراحل حياته الاكثر غموضا وهي المرحلة التي سبقت شهرته اي عندما تزوج من الكاتبة عام ١٩٣٧ وكانت هي اذ ذاك في الثامنة عشرة .

* يكب توفيق الحكيم على وضع كتاب جديد بشكل مذكرات بعنوان : « ايام في باريس » حيث يمثل بلاده في الاونسكو .

* سيظهر قريبا كتابان شيقان في أول الموسم المقبل هما مجموعتا مذكرات هارون عبود والاخطل الصغير ... ومثل هذه المذكرات يكتبها مثل هذين المؤلفين ستكون سجلا حافلا شيقا للاحداث الادبية والسياسية والثقافية .

* سيعقد في القاهرة في العام المقبل مؤتمر فلسفي ويعني بتنظيمه طه حسين والفيلسوف الايطالي شيرويلي.

* عاد الى لبنان الروائي اللبناني يوسف عواد صاحب « الصبي الاعرج » و « قميص الصوف » و « الرغيف »..

* يسعى عدد من الشعراء اللبنانيين لدى بعض كبار المستشرقين على ترجمة روائع الشعر الفرنسي الى العربية لقاء مبلغ ضخم .

* مذكرات «فتاة عاقلة» للاديبة الفرنسية سيمون دي بوفوار الذي صدر في بيروت منع في دمشق .

* أصدرت احدى دور النشر والطباعة الفرنسية جدولا بعدد الكتب التي نقلت من الفرنسية الى اللغات الاجنبية المختلفة في السنوات الاخيرة وهذه بعض الارقام عن مؤلفات كتاب فرنسيين خمسة :

١ ـ بول كلوديل ترجم له عام ١٩٤٨ خمسة خمسة كتب الى خمس لغات مختلفة وضعت لبعض كتبه ست ترجمات عام ١٩٤٩ وسبع عام ١٩٥٠ وعشر عام ٥١ وخمس عام ٥٣ و١٢ عام ٥٤ و١١ عام ٥٥ و١٢ عام ٥٦

٢ ـ اندريه جيد : ترجم له ١٧ كتابا عام ٩٤٨ ووضعت لبعض مؤلفاته ٢١ ترجمة عام ٤٩ و ٣٣ ترجمة عام ٥٠ و ٢٥ ترجمة عام ٥١ و ٤٦ ترجمة عام ٥٣ و ١٧ ترجمة عام ٥٤ و ٢٢ ترجمة عام ٥٥ و ١٦ ترجمة عام ٥٦ و ٢١ ترجمة عام ٥٧

٣ ـ جان جيرودو : وقد وضعت خمس ترجمات لكتبه سنة ٥٤ و ٦ ترجمات عام ٥٦ و ٦ ترجمات عام ٥٧

٤ ـ مارسيل بروست : نشرت له عام ٤٩ (٦)ترجمات و ٨ ترجمات عام ٥٢ و ١١ ترجمة عام ٥٣ و ٩ ترجمات عام ٥٤ و ٧ ترجمات عام ٥٦ و ١٠ ترجمات عام ٥٦ و١٠ ترجمات كذلك عام ٥٧

٥ ـ بول فاليري : سنة ١٩٤٨ نشرت له ٧ ترجمات لبعض كتبه الشعرية والنثرية وسنة ٥٠ خمس ترجمات وثماني ترجمات عام ٥١ وسبع ترجمات عام ٥٢ وتسع ترجمات عام ٥٣ و ١١ ترجمة كذلك سنة ٥٦ وعام ٥٧ نشرت له ست ترجمات اخرى .

وهكذا يكون اندريه جيد لما يزل في طليعة المترجمين ـ بفتح التاء ـ .

* ترجم الدكتور احسان عباس رواية كارلوس بيكر عن الروائي الاميركي ، حائز جائزة نوبل ارنست همنغواي.

* منحت الاكاديمية الاميركية للفنون والآداب الكاتب الانكليزي المشهور الدوس هكسلي جائزة افضل رواية لعام ١٩٥٩ وقيمة الجائزة الف دولار مع مدالية ذهبية وقد سبق ان فاز بهذه الجائزة الروائيان ارنست وريزر .

* ستظهر قريبا مراسلات فرود ويونغ العالمين النفسانيين الشهيرين اللذين قلبا النظريات النفسية رأسا على عقب .

* تعتبر الاوساط الثقافية في اميركا الكاتبة الفرنسية الوجودية سيمون دوبفوز كألمع امرأة حملت قلما .

* تقوم قيامة في فرنسا بين الشباب الفرنسيين لادخال التحسينات على المناطق . ومما يقترحه هؤلاء احداث مطاعم وبارات في متحف اللوفر في باريس .

* اعلنت الجمعية البريطانية الخاصة بالابحاث المتعلقة بالاسفار بين الكواكب ان العلماء الاخصائيين بمثل هذه الابحاث من اقطار عالمية عديدة سيعقدون ثلاث مؤتمرات في لندن في اواخر هذا الشهر .

* يقام في قصر « كوسال بونفال » الذي يعود تاريخه الى القرن الرابع عشر والذي لم يزل مدخله يقوم على جسر متحرك وهو من قصور القرون الوسطى ، يقام مهرجان فني تعرض خلاله تمثيلية بعنوان « زوار الليل » وهي مأخوذة عن الفيلم السينمائي الذي كتبه الشاعر الفرنسي جاك بريفير واخرجه مارسيل كارنيه ... وقد افتتح المهرجان اندره موروا عن الاكاديمية الفرنسية وقد القى بهذه المناسبة كلمة اشاد فيها بجمال المسرح عندما يقام في الهواء الطلق .

* الذين لا يعرفون القراءة والكتابة لن يلجأوا الى احد ليقرأ لهم رسائلهم او يتلو عليهم شيئا من انباء الصحف سوف يكتفي كل منهم بوضع الرسالة التي تلقاها في جهاز خاص فيستمع الى صاحب الرسالة بالذات وهو يقراهـا ...

والجهاز الجديد ـ كما يقولون ـ في طور التنفيذ ،

* * *